العنوان:	العرب في عصر الموحدين بين الخضوع والتمرد
المصدر:	مجلة كلية الآداب - جامعة الزقازيق - مصر
المؤلف الرئيسي:	بشير، عبدالرحمن
المجلد/العدد:	ع 57
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2011
الشهر:	ربيع
الصفحات:	68 - 115
رقم MD:	364013
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	AraBase
مواضيع:	بن علي ، عبدالمؤمن 558 هـ، العرب، المغرب العربي، القبائل العربية ، الأنساب العربية ، افريقيا ، عبد المؤمن ، يوسف ، 580 هـ، التاريخ السياسي، عصر الموحدين
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/364013

العَرَبُ فِي عَصْرِ المُوَحِّدِيْنَ
بين
الخضوع والتمرد

إعـــداد
د/ عبد الرحمن بشير
أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة المساعد
قسم التاريخ - كلية الآداب جامعة الزقازيق
٢٠١١م

المقدمة

غزَا المُوحِّدُون إفريقيَّةَ بعد استقرار العربِ فيها بقرنٍ من الزَّمانِ ، حيثُ أصبحُوا أصحَابَ سُلْطانٍ وامتيازاتٍ في المنطقةِ ؛ فكان الصِّدامُ بين القُوَّتين لازمًا ؛ قوةٌ تُريدُ الحِفاظَ علي مُكتسباتِها ، وهم العربُ ، والأُخري تُريدُ فرضَ هيمنتِها علي المنطقةِ بمَنْ فيها ؛ ولأوَّلِ مرَّةٍ يجدُ العربُ قُوَّةً مُنظَّمةً قادرةً علي قهرِهِم أو احتوائهم ؛ تُحاولُ أنْ تَتعامَلَ معهم بقدرٍ مِن الدُّبلوماسيَّةِ حينًا والقُوَّةِ أحيانًا أُخرَي. كان رَدُّ فعلِ العربِ مُرتبكًا مثلَ الظُّرُوفِ التي أحاطتْ بهم من قبل . قرر المُوحِّدُون الأوائلُ الاستفادةَ من القدراتِ القتاليَّةِ للعربِ ؛ التي يُمكِنُ أنْ تُمثِّلَ فصيلاً مُوازيًا للبربرِ، يكونُ قادرًا علي حفظِ التَّوازُنِ الدَّاخليِّ للدَّولةِ .

أتَتْ دَعوَاتُ الخُلفاءِ الأوَائِلِ للعَرَبِ بالهجرَةِ إلي المغربِ الأقصى؛ والاشتراكِ في جهادِ النَّصارَى بالأندلُسِ، ضمنَ خُطَّةٍ طموحةٍ، تنم عن عقلية سياسية قادرة علي الاحتواء ، ولم يُعْدَمْ المُوحِّدُون المُبرِّراتِ لحثهم علي الهجرة ، فحاولُوا استمالَتَهم بكافَّةِ الوسائِلِ، والتَّقرُّبَ منهم، واصطناعَهم والاستقواءَ بهم من النَّاحيةِ العسكريَّةِ كمُحاربينَ أكفَّاء، وبَدَا واضحًا رغبَتُهُمْ في دُخولِ عُنصرٍ عُروبيٍّ إلي نسيجِ الدَّولةِ البربريَّةِ، بادِّعاءِ زُعماءِ المُوحِّدين انتسابَهم للعربِ؛ لذلك لم يَمَلّ خُلفاءُ المُوحِّدين الأقوياءُ من دعوتِهم مَرَّةً بالتَّرغيبِ، وأُخرَي بالتَّرهيبِ، فمِنْهُمْ مَنْ استجابَ ، ومنهم مَنْ أبَي، وما بين الخُضُوعِ والتَّمرُّدِ نسجَ العَرَبُ تاريخًا لهم في المنطقةِ ؛ أفرزَ آثارًا سياسيَّةً واقتصاديَّةً واجتماعيَّةً.

حَاوَلَ المُوحِّدُون تفريغَ منطقةِ إفريقيَّةَ مِن العربِ لِيَسُهِّلَ السَّيطرةَ عليها ، فهل نَجَحُوا في ذلك ؟ وما الأسبابُ التي دَعَتْ إلي ذلك ؟ وهل أدَّي العربُ الدَّورَ المأمول منهم ؟ وهل استطاعَ المُوحِّدون تَطويعَ قُوَّتَهُمْ لتحقيق المبتغي ؟ كُلُّها أسئلةٌ تُحاولُ الدِّراسةُ الإجابةَ عنها؛ في ضُوءِ مُقارنةِ النُّصوصِ واستنطاق مضامينها وتحليلِها بغية الوصول إلي حقيقة هدفهم ، مِنْ خلالِ رَصْدِ الهِجْرَاتِ العربيَّةِ مِنْ إفريقيَّةَ إلي المغربِ الأقصى ، ودمجها بين قبائلِ البربرِ ، وانضمامِهم للجيشِ المُوحِّدِي ، وما آلَ إليه حالُ هذه القبائلِ التي عرفت بالتمرد في عصرِ ضَعْفِ دولةِ المُوحِّدين، نحاولُ الوُقوفَ عليها من خلالِ هذه الورقةِ التي تتناوَلُ تاريخَ المَغْربِ العربيِّ في فترةٍ مُهمَّةٍ مِنْ فَترَاتِ التَّاريخِ الإسلاميِّ في بلادِ المغربِ ، وعلي الله قصدِ السَّبِيلِ .

* التَّمْهِيدُ :

نَعْني بالعربِ في هذه الدراسة بني هلال وبني سليم وما التحَمَ بهما من البُطُون العربيَّة الأُخرى، وتنتسبُ هلالُ وسليمُ إلي مُضَرَ، ومَضَارِبهمْ الأُولي كانت بالحجاز ، اتَّصفَت هذه القبائل بالقَسْوَةِ وإفسادِ السَّابلةِ علي زمنِ الدَّولةِ العباسيَّةِ ، ثم تشيَّعوا للقَرَامِطَةِ ؛ خاصَّةً سليمَ، وصارُوا جُندًا لهم في البحرينِ وعُمَانَ، وعندما انتزعَ العزيزُ الفاطميُّ الشَّامَ مِن القرامطةِ نَقَلَ أشياعَهُمْ مِنْ بني هلال وسليم إلي مصرَ، وأنزلَهم الصَّعيدَ شرق النيلِ ، وبدأَتْ علاقاتُ هذه القبائل بالمغربِ عندما شقَّ المُعزُّ بن باديس الصنهاجي (ت٤٥٤هـ/١٠٦١م) الطَّاعةَ علي المُستنصرِ الفاطميِّ، وَأقام الدعوة للخليفةِ القائِم العباسيِّ ؛ فأرسلَ الفاطميون عربَ هلال وسليم[١] ومَنْ التحَمَ بهم إلي المغربِ ؛ لتأديبِ المُعزِّ سنة ٤٤٢هـ/١٠٥٠م ، وانضــمَّ إليهم عربُ الفتحِ ؛ فهزمُــوه في معركةِ حيدران ٤٤٤هـ/١٠٥٢م[٢]، ثمَّ دخلوا القيروانَ[٣] ، وخرَّبوها حتَّي أكره أهلَها للجلاء عنها، ولم يعودُوا إليها إلا بعد حينٍ[٤] .

كَرِهَتْ القبائِلُ العربيَّةُ الانقيادَ للسُّلطَانِ، واعتبرتْهُ قيدًا علي حُرِّيتها ، في المُقابلِ تَعَامَلَ الحُكَّامُ مع العربِ بتشجيعِ الخِلافاتِ فيما بين بُطُونِهِمْ؛ لإضعافِهِمْ ، والسَّيطرةِ عليهم ، واستخدامِهم وقودًا للمَعارِكِ . يؤكد ذلك تاريخُ قبائلِ بني هلال وسليم مُنْذُ قبلِ الإسلامِ وحتَّى عصرِ المُوحِّدين ؛ فَهُمْ دائمًا في صراعٍ مع السُّلطةِ، مُتمرِّدين عليها[٥]، ولم تستطعْ أيُّ حُكومةٍ أنْ

---

(1) عن أسبابَ هجرة العرب من هلال وسليم إلي بلاد المغرب بالتفصيل ونتائجها علي كــل المــستويات ، وآراء المعاصرين والمُحدثين راجع محمد عبد العمر، الإقطاع وأثره السياسي والاجتماعي في المغــرب خــلال عــصر المرابطين والموحدين ،رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب جامعة عين شمس، ٢٠٠٧م ص٧٣-٧٩.

(2) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ٦ ص٢٧-٣٢، يناقش أحد الدارســين تفاصيل المعركة ومقارنة النصوص وتاريخ الموقعة ويصل إلي أن الموقعة كانت سنة ٤٤٣ هــ وامتدت آثارهــا حتي سنة ٤٤٤هـــ ، راجع ، الهادي روجي إدريس ، الدولة الصنهاجية ، ترجمة : حماد الساحلي ، دار الغرب الإسلامي بيروت١٩٩٢، ١ ص٢٥٤

(3) ابن عذارى ، البيان المغرب ، قسم الموحدين ، تحقيق : محمد إبراهيم الكتاني وآخــرون ، دار الثقافــة ، الــدار البيضاء ١٩٨٥م ١ص٢٩٣.

(4) البرزلي ، فتاوى البرزلي ، تحقيق : محمد الحبيب الهيلة ، دار الغرب الإسلامي ، ٢٠٠٢م ، ٥ ص٢٢٢

(5) "جاءت بنو سليم إلي أبي بكر فقالوا أن العرب قد كفرت (ارتدت) فأمدنا بالسلاح فأمر لهم بسلاح فــأقبلوا يقاتلون أبي بكر فأرسل أبو بكر خالد بن الوليد لهم فجعلهم في حظائر ثم أضرم عليهم النار " ، راجع ، خليفــة

تكبحَ جِماحَهُمْ ، وتعاملتْ معهم القوى الإسلاميَّةُ التي انحازُوا إليها بقدرٍ كبيرٍ من المنفعةِ السِّياسيَّةِ والعسكريَّةِ . رضي العربُ أن يكونوا اليدَ التي يبطشُ بها الحُكَّامُ، ضِمْنَ سياسةِ تبادُلِ المنافعِ التي تحفظُ للسُّلطةِ هَيْبَتَهَا وللعربِ مَصالِحَهُمْ الاقتصادية بجانبِ خُصوصيَّتِهم الاجتماعيَّةِ.

العرب في بلاد المغرب

وَصَلَ بنو هلال وسليم إلي المغرب في ظِلِّ ظُروفٍ سياسيَّةٍ مُواتيَةٍ لهم؛ لتنفيذِ مُهمَّةٍ حَدَّدها لهم الفاطميون؛ فكانوا كالمَارِدِ الذي فكَّ عِقَالَهُ، حيثُ غيَّرُوا وَجْهَ التَّاريخِ في المَنطقةِ، وَأَرْبَكُوا كُلَّ المشاريعِ البربريَّةِ التي حاولتْ صِناعةَ دورًا في الحياةِ السِّياسيَّةِ، لذلك كانَ وُصولُهم مُدوِّيًا، واختلطتْ أحداثُه التَّاريخيَّةِ بالأُسطورةِ، وبدا واضحًا أنَّ هذه الهِجْرَةَ لم تكنْ مُؤقَّتةً، وأنَّهم لم يخرجُوا من مصرَ ليعودُوا إليها مرَّةً أُخري، لكنَّ المُؤكَّدَ أنَّهم كانوا أكبرَ مَدَدٍ عِرقيٍّ مِنْ جذْرٍ واحدٍ وصلَ إلي بلادِ المغربِ خلالَ العهدِ الإسلاميِّ، ووضحَ من خلالِ تَعاطِيهم مع الواقعِ الجديدِ أنَّ لهم أيدلوجيَّةً صحبتُهُم من الجزيرةِ العربيَّةِ، وقرَّروا تطبيقَها في المنطقةِ، وهي الاحتفاظُ بخُصوصيَّتِهم السِّياسيَّةِ والاجتماعيَّةِ، وإعلانُ مظاهرِ القُوَّةِ، ورفضُ الانقياد للسلطة القائمة ؛ لذلك خَطَبَ الجميعُ وِدَّهُمْ، وطلبُوا مُساعدتَهُمْ، ممَّا أحدثَ خللاً في تَوازُنِ المنطقةِ السياسيِّ والاقتصاديِّ والاجتماعيِّ لِمُدَّةٍ طويلةٍ [1].

تَقارَعَ العربُ علي بلادِ المغربِ، فحصلَ لسليمِ الشَّرقُ ولهلالِ الغربُ[2]، وأصبحَ لبُطونِ القبائلِ الهِلاليَّةِ مِنْ تُونسَ إلي غربي إفريقية وهُمْ رياحُ وزغبةُ والمعقلُ وجشمُ والأثبجُ والخلطُ[3] ،

بن خياط الليثي، تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق : أكرم ضياء العمري ، دار القلم ، دمشق ١٣٩٧هـــ ، ١ ص١٠٣

(1) برنشفيك ، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي ، ترجمة : حماد الساحلي ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ،١ص٣١

(2) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص٣١ .

(3) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص٣٤ ، رياح من أعز قبائل هلال وأكثرهم جمعا عند دخولهم إفريقية من أشهر بطونهم التي دخلت إلي إفريقية عمرو ومرداس ، ابن خلدون ، العبر ، ٦ص٦٩ ، وزغبة أخوة رياح وبطونها بنو يزيد وحصين وبنو مالك وبنو عامر وعروة ، ابن خلدون ، العبر ،٦ ص٨٥-١١٨ ، ينسب النسابة المعقل إلي هلال وابن خلدون يعتبرهم من عرب اليمن وينسبهم لمذحج ، العبر ، ٦ ص ١٢٠ أما جشم فتنسب إلي جشم بن معاوية بن بكر بن هوزان ، وعندما وصلوا المغرب الأقصى افترقت جشم إلي الخلط وسفيان وبني جابر (ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص٥٨-٥٩) ، والأثبج من القبائل الهلالية الأكثر بطونا وأوفر عددا ومضاربهم شرقي جبل

وغالبًا لم يتقيَّدوا بهذا التَّقسيم فيما بعــد ، ولم يُؤسِّسوا ملكًا و لم يُشيِّدوا دولةً[1] باستثناء إمارةَ بني جامعٍ في قابسَ التي انتهتْ بُدخولِ المُوحِّدين[2] بسببِ حالةِ الفوضَى ودأبهم علي الانقسامِ التي سادَ بينهم، واختارُوا الضَّواحِي وفرضُوا الإتاوَةَ علي حُكَّامِ بني زيري الصِّنهاجيين، كما قطعُوا الطُّرُقَ علي السَّابلةِ في عُمومِ إفريقيَّةَ، وغَصَبُوا الزَّرعَ والزَّيتونَ[3]، فسكنوا الأريافَ وفرضُوا علي كُلِّ مدينةٍ مغارم وتكاليفَ باهظةٍ ، وظلُّوا سادَةَ إفريقيَّةَ حتَّى عهدِ يُوسف بن تاشفين الذي ناصَرَ إخوانه بني زيري؛ ممَّا أعانهم علي الاحتفاظ بالسُّلطةِ في بعضِ مُدُنِ إفريقية[4]، كما غَلَبُوا صنهاجةَ وزَناتةَ في ضواحــي إفريقية والزَّاب، وقهرُوا ما بها من البربرِ وصيَّرُوهم خَدَمًا ، وعجزت بطونُ زناتة أقــدر قبائلِ البربر علي القتالِ عن مُدافعتِهم[5]، وصاهرهمَ المُعزُّ بن باديس ؛ إذ زوَّجَ بناتَهُ الثَّلاثَ لأمرَاءِ العربِ[6] .

تراجعتْ الحياةُ الحضريَّةُ وأنشطتِها في إفريقية مُقابلَ تَقدُّمِ الحياةِ الرَّعويَّةِ[7]، وفرضَ العربُ الإتاواتِ علي المراعِي (خَرَاجِ الجِبَالِ)، وكذلك أجبرُوا المُزارعين علي دفعِ ضريبةٍ مُدارَةٍ لهم (القَطِيْعَةَ أو القَطِيْعَ)، وهي تُؤخذُ علي الإنتاجِ الزِّراعيِّ؛ من حُبوبٍ وزيتونٍ وتُمورٍ، واستمرَّتْ هذه

أوراس ؛ ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص٤٨ ، أهم بطونها دريد وكرفة ، وتنسب الجازية الهلالية زائعة الــصيت إلي دريد وهي أخت حسن بن سرحان أمير دريد في زمانه ، راجع ، الهادي روجي إدريس ، الدولة الــصنهاجية ، ترجمة: حماد الساحلي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت١٩٩٢، ١ ص٢٤٩

(1) أبو عبد الرحمن بن عقيل ، عبد الحليم عويس ، بنو هلال أصحاب التغريبة في التاريخ والأدب ، النــادي االأدبي الرياض ١٩٨١م ،ص ١٠٥ .

(2) تنسب إمارة بني جامع إلي بنو فادع من رياح الهلاليين وظلت هذه الإمارة زهاء تسعين عاما، انظر، التيجــاني ، رحلة التيجاني، ص٩٦، ١٠٣

(3) البرزلي ، فتاوى البرزلي ، ٣، ص٤٨٦ ، ٥ ص٢٢٣ ؛ محمد عبد العمر ، الإقطاع وأثره السياسي والاجتمــاعي في المغرب خلال عصر المرابطين والموحدين ، ص٧٣-٧٩

(4) جان ليون الإفريقي، وصف أفريقيا، ترجمة، عبد الرحمن حميدة، مراجعة علي عبد الواحد ، الرياض١٣٩٩هــــ ،ص٥٥-٥٦ .

(5) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ٣٥ ، ٤٢ .

(6) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ٣٤ .

(7) إبراهيم جدلة ، المجموعات القبلية وتأثيرها علي الحياة الاجتماعية والسياسية بإفريقية أثنــاء العــصر الحفــصي ، أشغال الملتقى الدولي الثاني حول القبيلة الدولة المجال تونس ٢٠٠٣م ، ص١٦٥

الضَّريبةَ منذ القرنِ الخامسِ الهجريِّ/الحادي عشر الميلادي إلي سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م حتى تم إزالتها من قِبَلِ السُّلطانِ أبي حسن المريني[١]، واستطاعُوا تكوينَ طاقاتٍ عسكريَّةٍ يتصارعُ حولَ اكتسابِ ولائِها المُتصارعون علي السُّلطة من زعماء البربرِ الذين غلبَت عليهم العصبيَّةُ والتقلُّبُ السِّياسيُّ[٢]، فتحالفتْ رياحُ وزغبةُ مع بني زيري، وتحالفَ الأثبجُ وعُدي مع بني حمَّاد[٣] ، كما عانتْ من شغبِهم وتعدياتهم القرى البربرية؛ الأمرُ الذي خلقَ نوعًا من التَّضامُنِ بين البربرِ لِتَحمُّلِ خسائِرِهِمْ[٤].

وتَغَاضَي الحُكَّامُ عَنْ فرضِ العربِ إتاواتٍ علي التِّجارةِ العابرَةِ؛ ممَّا أدَّي إلي تدهورِ النَّشاطِ التِّجاريِّ الدَّاخليِّ والخارجيِّ[٥] وعلي سَلْبِهِمْ محاصيلَ السُّكَّانِ[٦] ، ويبدو أنَّ ذلك رسخ الفكرةَ عند ابن خلدون[٧] وأقرها في مُقدِّمته:" إنَّ العربَ إذا تغلَّبوا علي أوطانٍ أسرعَ إليها الخرابُ"[٨]، وأَفْتَي الفُقهاءُ في إفريقية بمنعِ بيعِ آلاتِ الحربِ لهم، أو إعانتِهم بكُلِّ ما يتقوُّون به علي مفاسدهم[٩]، واعتبرُوهم من مُستغرقِي الذِّمَّةِ؛ أي أنَّ كسبهم من حرامٍ، وتمنع مُعاملتهم ومُداينتهم شرعًا ، بل وصل الأمرُ إلي تحريمِ التَّعامُلِ مع مَنْ يتعامَلُ معهم من البربرِ[١٠]، وَأَفْتَي بعض الفقهاء بجوازِ شراءِ الإبلِ منهم دُونَ بقيَّةِ بهيمةِ الأنعامِ؛ لكَوْنِ الغالبِ فيها أنَّها مِنْ أملاكِهِمْ[١١].

---

(1) محمد حسن ، المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي ، جامعة تونس ١٩٩٩م ، ص٥٣٤

(2) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص٤٢ ، ٤٣.

(3) محمد حسن ، المدينة والبادية ، ص٣٩

(4) البرزلي ، فتاوى البرزلي ، ٤ ، ص٥١٩

(5) محمد عبد العمر ، الإقطاع وأثره السياسي والاجتماعي في المغرب ، ص٨٦-٨٧ ،.

(6) إبراهيم إسحاق ، هجرات الهلاليين من جزيرة العرب إلي شمال أفريقيا وبلاد السودان ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض ١٩٩٦م ، ص١٦٩ .

(7) عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة ، دار القلم بيروت ١٩٨٤، ط٥ص١٢٩

(8) يري أحد الباحثين أن الحالة في بلاد المغرب كانت متردية قبل دخول العرب في الأصل ، ويعدد أسباب ذلك في الصراع المذهبي بين المالكية والشيعة، والصراع الصنهاجي الزناتي ، وخروج المقاطعات الطرفية عن سلطة المركز ، والضغط الخارجي بعدما سيطر النورمان علي صقلية ، وتراجع قيمة الدينار الزيري . كل هذا ساعد إلي حد كبير علي تدحرج البلاد نحو الهوة ، راجع محمد حسن ، المدينة والدولة بإفريقية في العهد الحفصي ، جامعة تونس ١٩٩٩م ، ص٣١ ، ٣٢

(9) البرزلي ، فتاوى البرزلي ،٣ ص٢٤٩

(10) البرزلي ، فتاوى البرزلي ، ٤ ،ص ٤٩٧ ، ٤٩٨

(11) البرزلي ، فتاوى البرزلي ، ٥ ص١١٩

ضَغَطَ العربُ علي المُدُنِ والقُرَى الخاضعة لبني زيري حتَّى انحسرَ مُلكُ بني زيري إلي السَّاحلِ الذي يَمتدُّ مِنْ سُوسَةَ إلي صفاقسَ[1] ، و لم يكنْ لِسُكَّانِ إفريقيَّةَ أيُّ رَدٍّ فعلٍ تلقائيٍّ عليهم، وانتابَتْهُم لامبالاةٌ سياسيَّةٌ وعسكريَّةٌ تِجاهِهِم[2]، وانتهزَ بنو حمَّاد الفُرصةَ ؛ فروضوهم واستغلُّـــوهم في حُروبِهم ضدَّ أبناءِ عُمومتهم من بني زيري ، وضدَّ زناتة والمُرابطين أيضا ، واستخدموا معهم السياسةَ الوحيدةَ النَّاجحةَ؛ وهي سياسةُ التَّفريقِ، فمالئوا بعضَهم علي بعضٍ، وارتبطُوا مع بعضِ بُطونِهم بحلفٍ مثل الإثبج [3]، ورأوا فيهم جُنودًا مُرتزقةً فقط، فكان كُلٌّ منهم يسعَي لِمُحالفةِ فريقٍ مِن العربِ لُمساعدتِهِ في تنفيذِ مآربِهِ ضدَّ الآخرين[4]، وهذا ما يَطلقُ عليه علماءُ الاجتماعِ بالسُّلُوكِ الانقساميِّ للقبيلةِ الواحدةِ بين نزعتي الانشطارِ والانصهارِ، مِمَّا ينطبقُ علي البُطونِ الصنهاجيَّةِ والبُطونِ العربيَّةِ[5]، لكنَّ الظُّرُوفَ خدمتْ العربِ، وقادتْ إلي نمو وَعْيِهِمْ السياسيِّ ومُضاعفةِ قُدراتِهِمْ الاقتصاديَّةِ بشكلٍ لافتٍ[6].

وعندما سقطتْ دولةُ بني حمَّاد علي يدِ عبدِ المؤمن بن علي الموحديِّ سنة ٥٤٧هـــ/١١٥٢م كانتْ القبائلُ العربيَّةُ أكثرَ القبائلِ دفاعًا عنها ، وظلُّوا يُقاومون حتَّى بعد أنْ استسلمَ بنو حمَّاد ، حين خانهم وزيرُهم أبو محمد ميمون بن علي بن حمدون ؛ الذي فرَّ إلي بني سليم، فكتبَ إليه عبد المؤمن بالأمانِ ؛ فتركَ العربَ وبني حماد والتحقَ بمعيَّةِ عبد المؤمن، وفتحَ له بابَ بجاية عاصمةَ بني حماد[7]. لم يكنْ وَلاءُ العربِ لبني حماد نوعًا من الوفاءِ كما يزعمُ البعضُ[8]، لكنَّه كان دفاعًا عن مكاسبِهم السياسيَّةِ والاقتصاديَّةِ والاجتماعيَّةِ التي تمتَّعُوا بها في المنطقةِ ، فقد سيطرُوا علي ضواحِي

(1) برنشيفك ، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي ، ١ص٣٢ .

(2) ميراندا ، (أمبروسيو هويثي) ، التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية ، ترجمـــة : عبـــد الواحـــد أكمـــير ، منشورات الزمن ، الدار البيضاء ٢٠٠٤م ، ص٥٥٩

(3) ابن خلدون، العبر، ٦ ص٤٢ ، عبد الرحمن بن عقيل ، وعبد الحليم عويس ، بنو هلال ، ص١٠٤ .

(4) ممدوح حسين ، الحروب الصليبية في شمال أفريقيا، دار عمار ، عمان الأردن ١٩٩٨م ،ص١٢٦ .

(5) إبراهيم جدلة ، المجموعات القبلية البدوية ، ص١٨٢

(6) إبراهيم إسحاق إبراهيم ، هجرات الهلاليين ، ص٥٤ .

(7) ابن عذاري ، البيان المغرب ، قسم الموحدين ، ص ٤٦ ،٤٧ ، ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب بروض القرطـــاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار المنصور ، الرباط١٩٧٢م ، ص١٩٣ .

(8) أبو عبد الرحمن بن عقيل ، عبد الحليم عويس ، بنو هلال ، ص١١٢ .

إفريقيَّة وتركُوا لبني زيري الحواضِرَ[1]، ولا أدل علي ذلك من أهُم كانوا يأخذون نِصْفَ غلَّةِ مملكةِ بني حماد[2] نظيرَ حِمايتِهِمْ للأراضِي الزِّراعيَّةِ[3]، وبالتَّالي فإنَّ دُخولَ عُنْصُرٍ قويٍّ مثلِ المُوحِّدين في المُعادلةِ السياسيَّةِ مآله القضاء علي مَكاسِبِهم وتُقيِّدُ حُرِيَّتَهم ، فالعرب كما قيل عنهم:" أولاً وأخيرًا لا تنقادُ لقائدٍ ولا تلينُ في يدِ قاهرٍ، ذهابًا بنفوسها، وطاعةً لأنفتها ... وإباية عمَّا تظنُّه أنّه يضع من شرفها " [4].

لاحتْ فكرةُ الاستعانةِ بالعربِ من هلال وسليم لقتالِ نصارى الأندلسِ في ظِلِّ دُولِ الطَّوائِفِ، لكنَّ مخاوفَ حُكَّامِ الأندلسِ المُتناحرين من انتقالِ الفَوضى التي أحدثَها العربُ في المغرب الأدنى وإفريقيةَ أحَلَّتْ مشروعَ دعوتِهم للجواز ، واستعانوا بالمُرابطين، ولَّما كان المُوحدون أكثرَ انفتاحًا علي الشَّرقِ من المُرابطين، قَرَّروا استقدامَ العربِ إلي المغربِ الإسلاميِّ، وترويضهم لصالحِ القُوَّةِ الإسلاميَّةِ في مُواجهةِ النَّصارى، فقد طَبَّقُوا نظرية الاستعانةِ بعناصِرِ عسكريَّةٍ من خارجِ العصبيَّةِ المُؤسِّسةِ عند ابن خلدون التي تقولُ :" الاستئثارُ بالزَّعامةِ المُطلقةِ مُنافٍ لإدناءِ الزَّعاماتِ العصبيَّةِ المُؤسِّسةِ " تبدُو هذه النَّظريَّةُ بشكلٍ واضحٍ في استعانةِ علي بن يوسف بن تاشفين زعيمِ المُرابطين بالنَّصارَى في بلادِ المغربِ[5].

يأتي هذا التَّوجُّهُ بسببِ حرصِ الحاكِمِ علي اصطناعِ جبهةٍ عسكريَّةٍ لا ارتباطَ لها بالقُوي العصبيَّةِ التي تضربُ في البلادِ، وتبنَّي المُوحدُون نفسَ السياسةِ بمبادرةٍ مِنْ أَوَّلِ خُلفائهم عبد المؤمن بن علي؛ فاحتفظُوا بفيلَقِ النصارى الأجنبيِّ الذي خدم المرابطين علي أثرِ انتصارِهِمْ عليه، وحدَّدُوا في النَّهجِ ذاتِهِ عندما أضافُوا عنصرَ العربِ إلي المنظومةِ العسكريَّةِ، حيثُ أبعدوهم عن إفريقية والمغرب الأوسط، وأنزلوهم في أخصب الأراضي المغربية بالسهول الأطلسية، ثم استقدموا الغز الأتراك من أقصي التُّخُومِ اللِّيبيَّةِ [6].

[1] أبو عبد الرحمن بن عقيل ، عبد الحليم عويس ، بنو هلال ، ص١١٢ .

[2] محمد حسن ، المدينة والبادية ، ص٤٥

[3] ميراندا ؛ التاريخ السياسي ، ص١٥٣

[4] وهو ما عبَّر عنه الخليفة الثاني يوسف في رسالته إلي الموحدين في قرطبة سنة ٥٧٦هـ/١١٨٠م راجع، بروفنسال ، مجموع رسائل موحدية إنشاء كتاب الدولة المؤمنية ، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية ، الرباط ١٩٤١م ، ص١٥٦ .

[5] وكان علي يوسف بن تاشفين وهو أول من استعمل الروم وأركبهم في المغرب " راجع ابن عذارى، البيان المغرب ،ج٤ص١٠٢ .

[6] محمد القبلي ، الدولة والولاية والمجال ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ،١٩٨٧م ص٨١ .

عرب إفريقية وعبد المؤمن بن علي (٥٤١-٥٥٨هـ) .

غزا عبد المؤمن بن علي الخليفة المُوحدي الأول إفريقية مرتين الأولي سنة ٥٤٧هـ/١١٥٢م حيث استغلَّ استطالة العرب علي بني زيري ، وتنازع ملوك بني زيري فيما بينهم لضم إفريقية والمغرب الأوسط لدولته الجديدة واستخلاص بجاية من بني حماد ، والثانية سنة ٥٥٤هـ/١١٥٩م عندما استخلص المهدية من النورمان[1]، وفي المرتين عمل علي التقرب من العرب واصطناعهم والاستقواء بهم من الناحية العسكرية كمحاربين أكفاء، ومن الناحية المعنوية بدخول عنصر عروبي إلي نسيج الدولة البربرية مدعيا انتسابه لهم [2].

في المرة الأولي بادرت بعضٌ من البطون العربية بالوفود عليه في الجزائر وقدَّمت ولاءها له وهو في طريقه إلي إفريقية ، حيث خفَّ إليه الأمير أبو الجليل بن شاكر أمير الأثبج ، وحباس بن مشيفر من رجالات جشم ؛ فتقبلهما بقبول حسن وعقد لهما علي قومهما [3] ، أمَّا باقي القبائل العربية في المنطقة فقد توجَّسوا خيفةً من هذا القادم من الغرب ليعكر عليهم أمنهم واستقرارهم ، وفطنوا إلي خطة الموحدين التي تهدف إلي تفريغ المنطقة من الكيانات القوية حتى لا تنازعها السلطان " وقالوا : إن جاورنا عبد المؤمن أجلانا من بلاد المغرب، وليس الرأي إلا اللقاء معه، وأخذه بالجد،

---

[1] اغتصب النورمان المهدية من بني زيري ، ولم يتطرق إليها عبد المؤمن في غزوته الأولي ، وعندما حانت الفرصة بسبب تعرض النورمان لأهل زويلة القريبة منهم وقتلوا النساء والأطفال فاستحاب لنصرتهم ، راجع ، السلاوي الناصري ، الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى ، تحقيق : جعفر الناصري ، ومحمد الناصري، دار الكتاب ، الدار البيضاء ١٩٩٧م ، ١ ص١٣٥ عن غزو المهدية من وجهة النظر الغربية راجع ،

Cowdrey،H.،E.،J.، The Mahdia campaign of 1087 ،The English Historical Review، no. CCCLXII، 1977.

[2] نفي عبد المؤمن نسبه لقبيلة كومية أحدي بطون بني فاتن البترية وانتسب لقيس عيلان بن مضر (المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق : محمد سعيد العريان ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ١٩٦٣م ، ص١٩٧) وهذا الإدعاء أفاده في توليته خلفا للمهدي بن تومرت كونه ليس بربريا (ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص١٨٤) ولم ينسبه للعرب إلا البيدق الذي نسبه إلي سليم بن منصور ، حيث نزح جده من الأندلس إلي المغرب الأوسط واحتمي بالقبائل البربرية فنسبت ذريته إلي البربر بالجوار والحلف (أبو بكر الصنهاجي ، المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب ، تحقيق : عبد الوهاب بن منصور ، دار المنصور ، الرباط ١٩٧١م ، ١٣-١٤) .

[3] ابن عذارى ، البيان المغرب ، ص٤٥ .

وإخراجه من البلاد قبل أن يتمكن، وتحالفوا على التعاون والتعاضد"،[1] " وألاّ " يخون بعضهم بعضا "[2] ، فلقد استشعروا نية عبد المؤمن قبل أن يطرحها عليهم ، وبدءوا في إعداد الخطط اللازمة للقائه ، وأول خطوة في هذا الاتجاه هي الوحدة.

تحالفت رياح وعدي وزغيف وبعضٌ من بطون جشم التي لم ترحب بعبد المؤمن ، وقادت رياح التحريض علي الحرب بقيادة محرز بن زياد [3] ، وخاطبوا " جميع من ببلاد إفريقية وما يتّصل بها إلي جهات الإسكندرية من العرب ... مُخاطبة الاستصراخ والاستنجاد " [4] ، ووجد صاحب صقلية النورماني أنّ الفرصة مُناسبة للتّدخل في الصراع خوفًا علي المهدية ، وعرض علي أمراء العرب أن يرسل إليهم خمسة آلاف فارس من الفرنج يُقاتلون معهم ؛ على أن يُرسلوا إليه رهائن ؛ فشكروه وقالوا لا نستعين على المسلمين بغيرهم [5] .

تغيَّرت الخريطة السياسية في إفريقية بفضل قدوم الموحدين أصحاب الطموح الكبير وبقوتهم التي ألجمت العرب ، ووضعتهم أمام اختبارٍ صعبٍ بعد أن سقطت دولة بني حماد سنة ٥٤٧هـ/١١٥٢م ، حيث قلّل الوجود الموحدي الكثير من امتيازاتهم في المنطقة ، لذلك وفور خروج عبد المؤمن من بجاية عائدًا إلي بلاد المغرب الأقصى انتفض العرب ، فلما بلغه خبرهم وهو في متيجة [6] أرسل إليهم جيشاً من الموحدين زهاء ثلاثين ألف فارس ؛ وكان العرب أضعافهم ، والتحم الجيشان بوادي الأقواس بجهات سطيف سنة (٥٤٨هـ/١١٥٣م) واقتتلوا أشد قتال ؛ فانجلت المعركة عن هزيمة العرب ، وتعكس الغنائم التي غنمها جيش عبد المؤمن حالة الثراء التي عاشها العرب في إفريقية في تلك الفترة ، حيث يصفُها عبد المؤمن بن علي فيقول :" لم يسر

---

(1) النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق : مفيد قمحية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ٢٠٠٤م ، ٢٤ ، ص١٦٨ .

(2) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، تحقيق أبي الفدا عبد الله القاضي ، دار الكتاب العلمية، بيروت ١٩٩٥م ، ٩ص٣٩٠ .

(3) ابن لأثير ، الكامل ، ٩ص٣٩٠ ، ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص٤٤ ، النويري ، نهاية الأرب ، ٢٤ ، ص١٦٨ .

(4) بروفنسال ، مجموع رسائل موحدية ، ص٢٩ .

(5) النويري ، نهاية الأرب ، ٢٤ ، ص١٦٨ .

(6) بروفنسال ، مجموع رسائل موحدية ، ص٣٠ ، ومتيجة بلد في أواخر إفريقية من أعمال بني حماد في الطريق إلي الجزائر، راجع ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، دار الفكر ، بيروت ،٥ص٥٣

الموحدون إلا بين إبل راتعة وسائمة ، وخدور علي عمدها منصوبة قائمة ، وأبقار وأغنام لم تحط بها الأبصار " [1] .

قسم عبد المؤمن الأموال في عسكره ، وأمن النساء ووكل بهم الخصيان يخدمونهم وأمر بحمايتهم ، ونقلهم معه إلى مراكش ، وأمر عبد المؤمن بمكاتبة العرب وطمأنتهم بأن نساءهم وأولادهم تحت الحفظ والصون ، وأمرهم بالحضور ليتسلموهم ؛ في بادرة سياسية رجا عبد المؤمن منها جر العرب إلي المغرب الأقصى والتعرف عليه ؛ فسارعوا بالمسير إلى مراكش فأعطاهم عبد المؤمن نساءهم وأولادهم ، وأحسن إليهم[2] علهم يقبلون الاستقرار في المغرب الأقصى ، وبذل لهم " الأمان والكرامة ووصلهم بالأموال الجزيلة فاسترقّ قلوبهم بذلك وأقاموا عنده " [3] ونجم عن ذلك أن بعضًا من العرب خاصة الأثبج استقر في مراكش ، واستعان بهم في ولاية ابنه محمد للعهد سنة ٥٥١هـ/١١٥٦م ضد المصامدة الطامعين في السلطة [4]، والبعض الآخر عاد إلي إفريقية ، حيث فشل عبد المؤمن في إقناع الكثير منهم بالبقاء معه في المغرب الأقصى ، والانضمام إلي جيشه لمحاربة نصارى الأندلس [5] ، وصدق ظن العرب في نية عبد المؤمن بخصوص إجلائهم عن إفريقية التي أفصح عنها والتي تهدف إلي توطينهم في مناطق الفراغ السُّكاني التي نتجت عن هزيمته لبرغواطة ودكالة سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧م[6] .

أما المرة الثانية التي فتح فيها عبد المؤمن المهدية عام ٥٥٤هـ/١١٤٩م بعد ١٢ سنة من احتلال النورمان لها [7]حمل معه هذه المرة خطة واضحة لتهجير العرب إلي المغرب الأقصى ،

---

(1) بروفنسال ، مجموع رسائل موحدية ، ص٣٢ .

(2) ابن الأثير ، الكامل ،٩ص٣٩١ ، لم يشير ابن عذارى إلي قضية أسر النساء ، ونصُّه يُدلل علي قدوم العرب إلي مراكش من تلقاء أنفسهم دون ضغوط ، راجع البيان المغرب ص٤٩

(3) ابن الأثير ، الكامل ،٩ص ٣٩٠ ، ٣٩١ .

(4) ابن الأثير ، الكامل ،٩ص٤٠٨ ؛ النويري ، نهاية الأرب ، ٢٤ ص١٦٩ .

(5) السلاوي ، الاستقصا ، ١ص١٢٠ ، ١٢١ .

(6) محمد القبلي، الدولة والولاية والمجال ، ص٤٦ ، مضارب دكالة من غرب نهر التانسفت وتنتهي شمالا علي المحيط جنوبي نهر العبيد غربي نهر أم الربيع وتمثل هذه المنطقة مسافة أربعة أيام طولا ويومين عرضا تقريبا ، راجع ليـون ، وصـف أفريقيا، ص١٥٧ .

(7) السلاوي، الاستقصا، ص١٣٩ ، حصارها من البحر حتي يقطع عنها إمدادات صقلية وحمل معه آلات الحصار والمجانيق والعدد ومتخصصين في ذلك مما أرغم النورمان علي الصلح بعد سبعة أشهر من الحصار، راجع، ابن عذارى، البيان المغرب، ص٦٢ .

حيث تغاضي عن الحماقات التي ارتكبتها بعض بطوهم مثل تعدي بني سليم علي مدينة قابس فلم يناصبهم العداء ، واستمر في سياسة اللين تجاههم وخاطبهم بالشعر يستدعي نخوتهم ويتقرب إليهم[1] ، وصبر عليهم رغم ردهم بالعصيان ، فلم ييأس وأعاد الكرة مرة أخــري ، حيث كلف أحد الفلاسفة المقربين منه وهو أبا بكر بن طفيل بنظم شعر يستنفرهم لغزو الأندلس وخاطبهم ببني العم [2]، وأمر أن تصل هذه الأبيات إلي جميع شيوخ العرب في إفريقية ، وبذل جهدًا كبيرًا في ذلك؛ فقد كان مُصمما علي تهجيرهم إلي المغرب الأقصى [3]، لأنه شعر بضعفه أمام المصامدة وأشياخهم وأراد يحمي ظهره بهم لتقوية سلطته ولدعمه ، ومن ثم انتظر طويلا جوابهم رغم تعنتهم[4].

استخدم عبد المؤمن معهم اللين والصبر ، وهو ما لم يفعله مع البربر ، حيث اتصف بقسوته مع أعدائه وحلفائه منهم ؛ فقد فتك برجال وفرسان قبيلة جزولة البربرية واستولي علي أموالهم وأسلحتهم وسبي نساءهم وأولادهم وأمر بقتلهم جميعا ما عدا الصبيان مع أنهم دخلوا في الدعوة طائعين، وهي قبيلة قوية لم يستطع المرابطون كسر شوكتها علي الرغم من حكمهم للمغرب الأوسط.[5] ، ويؤكد لين عبد المؤمن وصبره مع القبائل العربية ما أورده أحد المستشرقين [6] اعتمادا علي المصادر بيانا بأعداد البربر الذين قضوا في عهد عبد المؤمن ممن صدر عليهم حكم الإعدام وقام شيوخ قبائلهم بتنفيذ الحكم حيث وصل مجموعهم ٣٢٧٣٠ شخصا ، مما يدلل علي المعاملة الخاصة للعرب.

بعــد كل المحاولات والتنازلات التي أبداها عبد المؤمن خرجت معه بطون من رياح في اتجاه المغرب متأرجحين بين البقاء والهجرة ، لكنهم عادوا من الطريق ونفضوا حلفهم معه وقالــوا " ما غرض عبد المؤمن إلا إخراجنا من بلادنا " [7] ؛ فأرسل من يطاردهم وهزمهم في موقعة جبل

---

(1) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ص٦٢ .

(2) بني العم من عليا هلال بن عامر وما جمعت من باسل وابن باسل
تعالوا فقد شددت إلي الغزو نية عواقبها منصورة بالأوائل.
راجع المراكشي ، المعجب ، ٢٢٥ .

(3) بروفنسال ، مجموع رسائل موحدية ، ص١١١ .

(4) أحمد عزاوي ، رسائل موحدية ،١ص٦٩ .

(5) البيدق ، أخبار المهدي بن تومرت ، تحقيق : عبد الحميد حاجات ، المؤسسة الوطنيــة للكتــاب ، الجزائــر ، ١٩٨٦، ص٨٤ .

(6) ميراندا ، التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية ، ص ١٤٥

(7) النويري ، نهاية الأرب ، ٢٤ ص١٧٤ .

القرن جنوبي القيروان سنة ٥٥٥هـــ/١١٦٠م [١] ، وظل معهم علي درب التسامح لم يستعمل القسوة مع أسراهم ولا نسائهم كما حدث فـــي المرة السابقة ، واستاقهم معه إلي المغرب الأقصى ووكل بهم من يحميهم ويصونهم[٢] ، ويري أحد المستشرقين [٣] أن المصادر العربية أسرفت في تصوير هذه المعركة بيد أنها لم تكن بالحدة التي وصفوها بها مما يدلل علي المعاملة الخاصة التي عامل عبد المؤمن بها العرب.

أرجأ عبد المؤمن القوة كورقة أخيرة وظل يحتفظ بشعرة معاوية معهم ، وقبل اعتذارهم عندما جاءه فخد من رياح وهم بني محمد بقيادة زعيمها يوسف بن مالك وألقوا بمقاليد الانقياد إليه[٤]، وكذلك أعيان من قبائل الأثبج وزغبة " يمدون يد الاستتابة ويطلقون ألسنة الإنابة " [٥] ، ودخلت جشم في طاعته وقرروا الرحيل معه إلي المغرب الأقصى [٦] ، حيث قابلهم بقبولٍ حسنٍ عندما طلبوا الأمان معللاً ذلك " بالرفق بالجهال ومقابلة البعيد بالتقريب والإسهال " [٧]. قبل عبد المؤمن اعتذارهم واعتبر أن مشاركتهم في الجهاد بالأندلس سيكون بمثابة تكفير لهم عما قاموا به من تصرفات غير محمودة في الماضي [٨] "وأخبر بذلك الموحدين في قرطبة بقوله : وكنا أعلمناكم أن العرب.. يُرجي لهم أن يتلافوا زللهم ، ويستدركوا خطأهم ، بغزو جزيرة الأندلس [٩] ' كان عبد المؤمن يدرك أخلاق العرب ويعرف ما جبلوا عليه من أنفة وكبرياء ، وأنهم لا يتركون ثأرهم ولو فنوا علي أخر رجل منهم ؛ فعالجهم بكرم الخلق لا بالسلاح أملا في "استئلافهم " [١٠] وأن يكونوا سندا قويا له في جيشه [١١] .

---

[1] ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٦٢-٦٣ ؛ النويرى ، نهاية الأرب ، ٢٤ ص١٧٤ .

[2] النويرى ، نهاية الأرب ، ٢٤ ص١٧٤ .

[3] ميراندا ، التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية ، ص١٨٤

[4] بروفنسال ، مجموع رسائل موحدية ، ص١١٩ .

[5] بروفنسال ، مجموع رسائل موحدية ، ص١١٩ .

[6] بروفنسال ، مجموع رسائل موحدية ، ص١١٩ .

[7] بروفنسال ، مجموع رسائل موحدية ، ص٢٩ .

[8] ميراندا ، التاريخ السياسي ، ص١٨٠

[9] بروفنسال ، مجموع رسائل موحدية ، ص١١١-١١٢ .

[10] بروفنسال ، مجموع رسائل موحدية ، ص٢٩ .

[11] عبد الله علي علام ، الدولة الموحدية بالمغرب ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٨م ،ص٢٣٥ .

نجح عبد المؤمن بالترهيب تارة وبالترغيب تارة أخري في إقناع من أقبل عليه من العرب بالهجرة معه، وعند عودته إلي مراكش (٥٥٥هـ/١١٦٠م) " استاق من العرب ما لا يحصي " [(١)] من رياح وجشم وعدي [(٢)] ويخبرنا ابن أبي زرع [(٣)] عن نقل ألفين من كل بطن من بطون جشم إلي المغرب الأقصى بعيالهم وأبنائهم ، وفي طريق عودته مر بأرض فيها عرب بادروا إليه بعدما سمعوا عن هزيمة إخوانهم ؛ فاصطحب أعيانهم معه [(٤)] ، " وقسم العرب علي البلاد " [(٥)] أي علي أقاليم المغرب الأقصى[(٦)] ، ووضعهم تحت عينه للاستفادة من هذه الطاقات في قتال نصارى الأندلس [(٧)] ولتقليص نفوذ أشياخ الموحدين [(٨)] ، ويصف أحد الدارسين[(٩)] عملية الترحيل بالمناورة لإجلائهم عن إفريقية وتوظيف هذه الحشود الهمجية في أعمال عسكرية، وهي تشبه مناورة الأغالبة في التخلص من بني تميم بتوجيههم لغزو صقلية.

انخرط العرب في جيش عبد المؤمن وتبدل مفهوم التوحيد من مفهوم ديني إلي سياسي، واعتبر الخلفاء منذ عهد عبد المؤمن أن الخضوع لسلطة الدولة هو التوحيد [(١٠)] ، الأمر الذي أعطي فرصة لزعماء الموحدين في ضم العرب للجيش الموحدي ، وحرص عبد المؤمن علي ذلك عندما شعر بخطر العرب وقوتهم عند فتحه بجاية سنة٥٤٧هـ/١١٥٢م ، ومنذ ذلك الوقت بدأ انضمام العرب إلي جيش الموحدين ، وعندما هم عبد المؤمن سنة ٥٥٤هـ/١١٥٩م لغزو المهدية كان العرب يمثلون أكبر فصيل من غير الموحدين في جيش عبد المؤمن [(١١)] .

---

(1) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ص٦٧ ، ٦٨ .

(2) ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة ، تحقيق : عبد الهادي التازي ، دار الغرب الإسلامي ، ط٣ ، ١٩٨٧م ، ص٩٠ ، ١١٦ .

(3) الأنيس المطرب، ص١٩٩ .

(4) التيجاني ، رحلة التيجاني ، ص٣٤٧ .

(5) البيدق ، أخبار المهدي بن تومرت ، ص١١٦

(6) ابن الأثير ، الكامل ،٩ص٤٠٨ ، النويري ، نهاية الأرب ، ٢٤ ص١٦٩ .

(7) عز الدين عمر موسي ، الموحدون في الغرب الإسلامي ،ص٢٢٢ مصطفي أبو ضيف أحمد ، أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبني مرين ، الدار البيضاء ١٩٨٣م،ص٧١ .

(8) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ص٤٩ .

(9) الهادي روجي إدريس ، الدولة الصنهاجية ، ترجمة : حماد الساحلي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت١٩٩٢ ، ١ص٤٦٨

(10) عز الدين عمر موسي ، الموحدون في الغرب الإسلامي ،ص١٠٤، ٢١٧ .

(11) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب، ص١٩٣، ١٩٨ .

استعد الموحدون لغزو نصارى الأندلس وضموا أعدادا كبيرة من القبائل العربية إلي جيشهم ؛ فكان ذلك أول جواز للعرب إلي الأندلس في عصر الموحدين (١) ، ثم عبَّروا في جيش الموحدين سنة ٥٥٧هـــ/١١٨٢م في نهاية عهد عبد المؤمن ، ويبدو أن ابن صاحب الصلاة (٢) يريد أن يؤكّـــد علي أنّ مَنْ عبر من العرب إلي الأندلـــس كانوا مكرهين علي ذلك بتكرار كلمة " العرب المجلوبين " ، لكنهم حقّقوا مع الجيش الموحدي انتصارًا كبيرًا علي النصارى في فحص بلقون سجله الشاعر أبو العباس الجراوي في قصيدة بهذه المناسبة تناول فيها شجاعة العرب وفضل خيولهم العراب في المعركة (٣) ، وبعد انتهاء الحملة عين عبد المؤمن حاميات عربية للمدن الأندلسية من زغبة ورياح وجشم في قرطبة واشبيلية وشريش (٤) ، وقبل وفاة عبد المؤمن بلغ عدد العرب في جيشه أربعة عشر ألفا من الفرسان دون الراجلة وإن كان في العدد مبالغة ؛ فإنه يدلل علي كثرتهم خاصة في فيلق الفرسان (٥) .

ويري أحد الدارسين أن عبد المؤمن كان يعتقد أن تهجير العرب سيعزز من قوة الموحدين لكن هذه السياسة أثبتت فشلها علي المدى البعيد وكانت سببا في انهيار الدولة الموحدية مع أنه كان إجراء سليما في حينه (٦) ، ويري أخر أن حاجة عبد المؤمن إلي جنود صاعقة للذود عنه وقت الضرورة عندما تنتفض مصمودة لاستعادة السلطة منه كانت لا تقل عن حاجته إلي محاربين للجهاد(٧) ، ظهر ذلك بوضوح بعد تعرضه لمحاولة اغتيال فاشلة حينما كان في طريق عودته إلي مراكش بعد استيلائه علي المهدية من جانب المصامدة ؛ لذلك انتهج سياسة الحلم تجاه العرب

---

(1) ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة ، ص١١١-١١٢ .

(2) المن بالإمامة ، ص١٣٠ .

(3) بعراب خيل فوقهن اعارب   من كل مقتحم علي الأخطار

اكرم بمن قباتلا إقلالهـــــا   في الحرب يغنيها عن الإكثار

راجع ، ابن عذاري ، البيان المغرب ، ص٧١ .

(4) مصطفي أبو ضيف ، أثر القبائل العربية في الحياة المغربية ، ص٨٥

(5) البيدق ، أخبار المهدي بن تومرت ، ص١١٨ ، اعتمد عبد المؤمن علي النصاري أيضا في جيشه حيث دخـــل في خدمته أثنتا عشر ألفا من الفرسان القشتاليين لقتال المرابطين بموافقة ملكهم فرديناند الثالث نظير عشر حـــصون بالقرب من أراضيهم ، وكان القواد والأمراء المسلمين يخضعونهم لاختبارات صارمة

Bovill, north Africa in the middle ages, in journal of the royal African society, Vol.30, No.119(Apr.,1931) pp.131-132

(6) عبد الواحد ذنون طه ، دراسات في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي ، ص ٢١٥ .

(7) ر وجي لي تورنو ، حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، ترجمة: أمين الطيبي ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا – تونس ١٩٨٢م ، ص٦٩

وحاول أن يجعلهم أكثر ارتباطا بشخصه [١] ويري أخر أن عبد المؤمن بهذا العمل خان القضية الموحدية دون أن يدري [٢]

عرب إفريقية ويوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨- ٥٨٠هـ) .

تُوفّي عبد المؤمن وترك إستراتيجية الاستعانة بالعرب في الجهاد ضد نصارى الأندلس ماثلة أمام الخليفة الثاني يوسف ، وكانت ضمن وصاياه له في مرض الموت ([٣]) . جدد يوسف دعوة أبيه للعرب للقدوم إلي المغرب الأقصى والاشتراك في جيش الموحدين لقتال النصارى في الأندلس . وجد أبو يعقوب يوسف صدودا من العرب يؤكد ذلك مخاطبته لهم سنة ٥٦٣هـ/١١٦٧م حين استدعاهم إلي الغزو " ويستدنيهم غاية الاستدناء " [٤] " ويناديهم غاية النداء ، ويستقربهم بالقربى التي تجمعهم في قيس عيلان "[٥] وخاطبهم بقصيدة من قول ابن طفيل [٦] ، وعندما تأخروا قليلاً خاطبهم بقصيدة من شعر ابن عياش يستعجلهم غاية الاستعجال [٧] .

لم تختلف استجابة العرب لدعوة يوسف كثيرًا عن استجابتهم لدعوة والده ، لكن العرب استشعروا تصميم الموحدين علي ترحيلهم من إفريقية حتى لو استدعي الأمر استعمال القوة بعد استنفاذ كافة الأساليب السلمية ؛ فحاول العرب استلحام إخوانهم في المشرق ، وينفرد ابن صاحب الصلاة [٨] بروايته عن شيخ رياح " جبارة بن أبي العينين " الذي خرج إلي مصر والحجاز واليمن طمعا في معين ونصير يعضد موقفهم أمام رغبة الموحدين في ترحيلهم ، لكنه لم يجد ؛ فعاد إلي

---

(1) لي تورنو ، حركة الموحدين ، ص٧٦

(2) ميراندا ، التاريخ السياسي ، ص١٥٧

(3) ميراندا ؛ نفسه ، ص١٩٩

(4) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ص١٠٢

(5) ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة ، ص٣٢٤

(6) يقول ابن طفيل في مطلع قصيدته ، أقيموا صدور الخيل نحو المغارب ... لغزو الأعادي واقتناء الرغائب ، أنظر القصيدة ، نفسه ، ص٣٢٥ — ٣٢٩ .

(7) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ص١٠٢

(8) المن بالإمامة ، ص٣٣٠

إفريقية بخفي حنين ، ومحقق كتاب المن بالإمامة [1] لم يجد لهذه الرحلة أثرا في الكتب التي تُؤرِّخ لنفس الفترة عند الأيوبيين [2] .

حدد يوسف الدعوة سنة (٥٦٦هـ/١١٧٠م) بقصيدة لابن طفيل يحرضهم فيها علي الجهاد ويصفهم بما هم فيه من الشهامة والزعامة [3] سيرًا علي نهج أبيه معهم ، ويبدو أن هذه الطريقة من المناشدة قد هيأت الرأي العام في إفريقية وألانت قلوب العرب ، وما أن وصل جبارة من المشرق حتى وجد قومه مؤهلين للهجرة والوفود علي أبي يعقوب ؛ فركب الموجة وأسرع هو وقبيله إلي والي بجاية أبي زكريا يحي بن الخليفة أبي يعقوب يوسف طالبا منه العفو والأمان ، وتجمعت العرب من كل حدب وصوب تتقدمهم قبيلة زغبة [4] وارتحلوا إلي المغرب الأقصى وعند تلمسان خرج معهم واليها أبو عمران موسي ولد الخليفة يوسف [5] .

يصف ابن صاحب الصلاة موكب العرب بقوله " كان عدد الخيل الواصلة من إفريقية أربعة آلاف فرس ... وكان الذي وصل من تلمسان ونظرها ألف فرس " وصل العرب بمحض إرادتهم هذه المرة في شهر ربيع الآخر سنة ٥٦٦هـ/١١٦٠م ، ولم يأت الخليفة يوسف إلي إفريقية إلا بعد قدومهم ، ولم يرهب العرب ولم يحاربهم مثل والده ، ويرصد ابن صاحب الصلاة [6] الاحتفالات التي أقيمت لاستقبالهم التي تؤكد علي فرحة يوسف بقدومهم خاصة أنهم بايعوه ، وانضموا إلي الجيش الموحدي ، ويبدو أن أعدادهم كانت كبيرة لدرجة أن بيعة أشياخ العرب ووفودهم استمرت أكثر من أسبوعين [7] ، وكانت استجابتهم طواعية فهل أثار الشّعر حماسهم أم طمعوا في المغانم أم ليس أمامهم إلا الاستجابة بعد أن سدت أمامهم أبواب الاستعانة ببني جلدتهم ؟ والغالب علي الظن أن اجتمعت كل هذه الأسباب

---

(1) ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة ، ص٣٣٠ حاشية ٢ .

(2) ويبدو أن جبارة هذا هو جبارة بن كامل وهو من مشاهير قواد العرب الذي هربوا من معية عبد المؤمن عند رجوعه بهم إلي مراكش سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م ، واستطاع أيضا أن يفر هو وقبيله من الجيش الموحدي الذي طاردهم حتي القيروان ولم يثبت أمام الموحدين غير محرز بن زياد الذي هزم وسلم النساء والأموال والبيوت لهم وعادوا بهم إلي عبد المؤمن الذي أكرم نساء العرب وحملهم معه إلي مراكش ، راجع ، النويري ، نهاية الأرب ، ٢٤ص١٧٤ .

(3) ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة ، ص٣٢٤ .

(4) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ص١١٤-١١٦ ، ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة ، ص٣٢٥-٣٢٩ .

(5) ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة ، ص٣٣٠ – ٣٣١ .

(6) ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة ، ص٣٤١-٣٤٣ .

(7) ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة، ص ٣٤٤ .

انضمت أعداد كبيرة من العرب القادمين إلي إخوانهم في الفيصل العربي بجيش الموحدين[1]، حيث يشار إلي مشاركة العرب من بني رياح والأثبج وزغبة في حروب الأندلس في جيش يوسف منذ سنة ٥٦٠هـ/١١٦٤م [2]، وترصد رسائل الخليفة يوسف اشتراكهم في الجيش الموحدي بالأندلس فيما قبل سنة ٥٦٤هـ/١١٦٨ [3] ، وعبر الكثير منهم إلي الأندلس وخاضوا مع الموحدين معاركهم مع مردنيش زعيم نصارى شرق الأندلس عند مرسية عاصمته في رجب ٥٦٦هـ/١١٧١م [4] وكذلك اشتراكهم مع يوسف نفسه في أول غزوة له لبلاد الأندلس في نهاية رمضان سنة ٥٦٦هـ/١١٧١م ؛ حيث عبر معه الوافدون الجدد [5] فجازت قبائل العرب أولاً ثم قبائل زناتة " [6] حيث غزا مدينة وبذه سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م [7]

أنس الخليفة يوسف بالعرب وشجعه قدومهم طوعا إلي الخروج إلي إفريقية سنة ٥٧٦هـ/١١٨٠م ، وكان السبب الظاهر لقدومه استخلاص قفصة وبجاية من ولاتها المنشقين، أمَّا السبب الباطن فهو استدعاء الكثير من العرب للمغرب الأقصى وانضمامهم للجيش الموحدي[8] وتخليص إفريقية من شغبهم وموالاتهم للمنشقين علي حكم الموحدين [9] ، وبدا ذلك واضحًا من تحريض الحكام المنشقين للعرب ضد الموحدين في عهد يوسف ؛ فعندما دخل يوسف بجاية وجـد في دار ابن المنتصر حاكم المدينة المنشق مخاطبات العرب إليه يمنونه بنصرته وتحالفهم معه[10]، وعندما هم يوسف لفتح قفصة ؛ جاءه شيوخ العرب من قبيلة رياح طالبين الأمان رافضين تكرار ما حدث لهم علي زمن عبد المؤمن، فأمنهم ثم دخل المدينة [11] .

(1) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ص١٤٣ .
(2) ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة ، ص١٩٦ .
(3) بروفنسال ، مجموع رسائل موحدية ، ص١٤٠ .
(4) ابن عذاري ، البيان المغرب ،ص٨٨-٨٩ .
(5) عن وصول العرب وتمييزهم أنظر ، ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة ، ص٣٤٦-٣٤٩ .
(6) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص٢١٣ .
(7) ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة ، ص٤٠٣ .
(8) أحمد عزاوي ، رسائل موحدية ، ٢ص٥٧ .
(9) بروفنسال ، مجموع رسائل موحدية ، ص١٥٦ .
(10) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ص١٤١ .
(11) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ص١٤١.

حقّق يوسف هدفه من رحلته إلي إفريقية بقمع المُنشقين وتأليف قلوب بعض البطون العربية، ويُعبِّر عن ذلك في رسالته من تونس إلي الطلبة والأشياخ في قرطبة في شوال ٥٧٦هـ/١١٨٠م بقوله " وعرفناكم بوصول من وصل من أشياخ العرب ـ وفقهم الله – مُلقين إلي هذا الأمر العظيم بيد التفويض.والتسليم مادِّين يد الاستقالة إلي عادة رأفته وصفحه الكريم ، وبعد ذلك صُرفوا إلي منازل هذه البلاد وأُنزلوا فيها لتجتمع كلمتهم ، وتنتظم أُلفتهم ، إلي أن يستنفروا بعون الله إلي الغزو " [١] ، وأمَّا قبائل سليم التي تضرب في طرابلس حتى برقة فيخبر الطلبة أنّهم جاءوا كما جاءت رياح يطلبون الأمان ، لكنه يُشكك في نواياهم ولا يثق في وعودهم بالنّفرة معه لقتال نصارى الأندلس ، ويتمنّي أن يُصلحهم الله ويهديهم [٢] ، ويلوح من الخطاب أنه يفهم جيدًا طبيعة العرب في عدم الانقياد وشكوكه في نيتهم لكنه يتمني نصرهم ، كما يعلم أنهم مرتبطين بمضاربهم في إفريقية في قوله :" وإن كانت هذه البلاد هي التربة التي مست أولا جلودهم ، وقضوا فيها من الشباب عهودهم " [٣] .

لذلك يري يوسف في نقل العرب ودعوتهم للهجرة معه عملاً بطوليًا يفوق مهمة قمع المنشقين من حكام الولايات " لو لم يكن في هذه الحركة السعيدة ما كان الآن من أمر العرب وكف أيديهم عن هذه البلاد وصرفهم إلي ما استنفروا إليه من الجهاد ... لكير بذلك دليلا علي أن هذا الأمر لا ترتقي إلي فهمه العقول " [٤] ، و لم يتعرَّض يوسف في رسالته إلي المعارك التي خاضها مع المنشقين إذ كان همه هو تبليغ الموحدين في قرطبة بهذه البشري وتفاصيلها، فيقول : " أنه أمرًا عزيزًا لا ترتقي إلي فهمه العقول ، ولا تنتهي إليه الخواطر والظنون ... فقد كان العرب أولاً وأخيرًا لا تنقاد لقائد ... فألان الله قلوبهم الآن لهذا الأمر العظيم " [٥] .

ويتضح من فحوي الخطاب اقتناع العرب بالهجرة ، ويصف أعداد المهاجرين بالكثرة " سالت بهم الأباطح ، وامتلأت بجموعهم المواهي الفسائح " وترك لهم حرية اختيار الطريق إلي مراكش حسب مضاربهم ؛ فمنهم من اختار طريق الساحـــل بينما اختار الآخرون الصحاري [٦] ،

---

(1) من رسالة يوسف إلي الطلبة ولأشياخ في أشبيلية ، أحمد عزاوي ، رسائل موحدية ، ١ص١٤٥-١٤٦

(2) بروفنسال ، مجموع رسائل موحدية ، ص١٥٦ .

(3) بروفنسال ، مجموع رسائل موحدية ، ص١٥٦ .

(4) بروفنسال ، مجموع رسائل موحدية ، ص١٥٦ .

(5) بروفنسال ، مجموع رسائل موحدية ، ص١٥٦-١٥٧ .

(6) بروفنسال ، مجموع رسائل موحدية ، ص١٥٤ .

ويُبالغ يوسف مُبالغة المُتمي عندما يقول " لم يبق بهذه البلاد كلها من العرب من يتطلع إلي استجلابه ولا يتشوف إلي وصوله إلي الغرب " لأنّ ما حدث بعد ذلك علي زمن ولده المنصور يُؤكّــد علي الوجود العربي الكبير في إفريقية ، واشتراكهم في الأحداث السياسية ، ويحاول يوسف أن يؤكد علي أن العرب دخلوا في دعوة التّوحيد وأنّ هجرتهم كانت برضائهم مع أنه يقدم في رسالته صعوبة ترك العرب مضاربهم في إفريقية ، ومسألة قبولهم التوحيد فيها نظر خاصة إذا رجعنا إلي ماضيهم السياسي والمذهبي (١) ، ومن خلال رسالته يوضح يوسف ما يتمناه من العرب ولكنه لا يقر واقعا بأن يمتثلوا للجهاد والرباط في الأندلس (٢) .

وصل العرب إلي مراكش سنة ٥٧٦هـ/١١٨٠م وكان الخليفة يوسف قد سبقهم إلي هناك ليكون في استقبالهم ، ومن أبرز الزعماء الذين وفدوا عليه هذه المرة أبو سرحان مسعود بن سلطان الرياحي زعيم رياح ومعه جيشٌ عظيمٌ من فرسان رياح (٣) ، وأقيمت الاحتفالات بقدومهم ومدت الأسمطة ، وتغاضي الخليفة عن شغب العرب في حفل الترحيب بهم وهم في حضرته عندما " حدث بين صبيان الموحدين الذين يمسكون دوابهم خارج البحيرة وبين أتباع العرب كلام ونزاع... وتحزب الجهال من الأعراب " (٤) ، " وأمر برفع الطعام مدة ثلاثة أيام ، عتبا علي العرب " (٥) ، وعفا عنهم بعد اعتذار زعمائهم وأعاد إطعامهم ، ويبدو أنّ الخليفة لم يكن ليسمح بفشل دعوته للعرب والاستعانة بهم في جيشه وتعبير ابن صاحب الصلاة "عتبا علي العرب " يؤكد علي ذلك لأن العتاب لا يكون إلا بين المحبين ، إلا أن تفاؤل يوسف بقرب خضوع العرب بشكل نهائي سرعان ما كذبته الأحداث ، فعرب رياح وهم أكثر القبائل العربية تعبيرا عن استعدادهم للخضوع بقيت مجموعات منهم في إفريقية يقدمون الدعم لكل متمرد علي السلطة الموحدية (٦) ويبدوا أنهم خذلوه أيضا في الأندلس ؛ ففي حصار شنترين ٥٧٩هـ/١١٨٣م أخفق العرب وانسحبوا بليل بسبب

(1) بروفنسال ، مجموع رسائل موحدية ، ص١٥٢ .

(2) بروفنسال مجموع رسائل موحدية ، ص ١٥٥ .

(3) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ٢١٢ ، السلاوي ، الاستقصا ترصد هجرته إلي المغرب الأقصى سنة ٥٧١هـ ، أما الرسالة رقم ٢٦ عند بروفنسال المؤرخة بشوال سنة ٥٧٦هـ التي يخبر فيها يوسف الطلبة والموحدين والشيوخ في قرطبة فتصف عزم أبو سرحان مسعود الرحيل هو وقبيله إلي المغرب الأقصى بعد استجابته لدعوة يوسف أنظر ، بروفنسال ، مجموع رسائل موحدية ، ص ١٥٤ .

(4) ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة ، ص٣٤٥ .

(5) ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة ، ص٣٤٥ .

(6) ميراندا ، التاريخ السياسي ، ص٢٧٣

تعودهم علي القتال في المجالات المفتوحة اعتمادا علي خطة الكر والفر [1] وتركوا يوسف يواجه مصيره أمام المدينة مع قلة من الموحدين الأمر الذي أدي إلي انسحابه مثخنا بالجراح حيث مات بالطريق بالقرب من الجزيرة الخضراء قاصدا العبور إلي المغرب الأقصى [2]

عرب إفريقية والمنصور (٥٨٠-٥٩٥ هـ)

تقلد المنصور الحكم وكان العرب أول المبايعين له حيث كان أول من بايعه أعيان زغبة في تلمسان ومن معهم من العرب بقصر مصمودة وهو في طريقه إلي مراكش لتقلد السلطة[3] وبعد عدة شهور من جلوسه علي العرش غزا بنو غانية مدينة بجاية الخاضعة للسلطة الموحدية [4] وتحالف بنو سليم وجشم وبعضٌ من بطون رياح والأثبج الضاربين في إفريقية معهم [5] ؛ فقد ألب بنو غانية العرب علي الموحدين بعدما كانوا في مرحلة كمون [6] الذين أصروا علي كسر شوكتهم ، وظل البعض منهم علي انحيازه للموحدين ، فالعرب أينما حلُّــوا غلبوا نزعة الاسترزاق الحر ومدافعة السلطان ، بدلاً من الطّاعة والارتباط بالدولة ، وبعدوا عن الانتماءات الجغرافية والثقافية [7] ويصف ابن عذارى انحيازهم لبني غانية [8] بقوله : " فانخذلت العرب إلي العدو وانطوت إلي حزبه " ،

(1) ميراندا ، التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية ، ص٢٩٥

(2) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص٢١٣ .

(3) محمد المغراوي ، الهجرة العربية الكبرى إلي المغرب الأقصى في عهد يعقوب المنصور الموحدي ، ضمن ندوة التحركات البشرية والهجرات اليمانية إلي بلاد الشام وشرق وشمال أفريقيا قبل ظهور الإسلام وبعد ظهوره ، منشورات المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر ، بنغازي ليبيا ٢٠٠٥، ص٣١٨

(4) دخل بنو غانية حكام جزيرة ميورقة بجاية من البحر سنة٥٨١هـ/١١٨٥م بقيادة يحي بن إسحاق بن غانية وهم من قبيلة مسوفة الصنهاجية بقايا المرابطين واستولي علي الكثير من أملاك الموحدين في إفريقية والمغرب الأوسط لكنهم لم يصمدوا أمام الموحدين حيث استرد الموحدون بجاية في نفس العام لكنهم ظلوا في إفريقية حتى سنة٦٣٠هـ/١٢٣٢م ، لمزيد من التفاصيل راجع ، ابن عذاري ، البيان المغرب ، ص١٧٥-١٨٠ .

(5) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ص١٧٦ ؛ أحمد عزاوي ، رسائل موحدية ، ١ص٧٧ ، ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص٤٥ .

(6) ميراندا ، التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية ، ص٣٢٠

(7) إبراهيم إسحاق ، هجرات الهلاليين ، ص٤٣ .

(8) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ص١٧٦ .

وتوالي سقوط المدن في أيدي بني غانية وحلفائهم من العرب ، حيث دخلوا الجزائر ومليانة وأشير ، وتغلّبوا علي بعض علي بلاد الجريد ، وضيقوا علي ما بقي منها [١].

كان رد الفعل الموحدي إرسال أسطول بحري وجيش بري سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م لرد بجاية ولطرد بني غانية الذين أعادوا الفوضى مرة أخري إلي إفريقية ، حيث استطاع الموحدون استرداد بجاية لكنهم لم يمنعوا الفوضى ؛ فقرر المنصور الخروج من مراكش في شوال سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م علي رأس جيش من الموحدين ليعيد الأمر إلي نصابه ، وعزف المنصور عن اصطحاب من لا يثق فيهم من العرب في جيش الموحدين معه ، واكتفي بصحبة من وثق فيهم من أشياخ رياح كبني زيان مراعاة لقدم هجرتهم وإخلاصهم في خدمة الموحدين [٢]؛ فقد ساء ظنه فيهم لتعاطفهم واتصالهم بإخوانهم عرب إفريقية [٣] ، وانضمت إليه زغبة من عرب إفريقية [٤] وبالتالي كانت أعداد العرب في جيش الموحدين قليلة ومع ذلك يحملهم ابن عذارى [٥] مسئولية الهزيمة أمام بني غانية في موقعة عمرة بالقرب من قفصة سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م لأنهم كانوا " غير محاربين ، ولا بالنجدة مرتسمين " وتركوا الموحدين فريسة في أيدي بنو غانية ، وظلوا خلال ذلك السِّجال الذي دار بين الموحدين وبني غانية مُنقسمين بين الخصمين أينما كانت مصالحهم الخاصة ، ليس لديهم هدف ولم يتبنوا قضية لكن عندما تكون الحرب علي الحرمات وتمسّ خصوصياتهم فإنهم يصمدون حتى الموت

استعاد المنصور زمام الأمور بعد الهزيمة وخرج بنفسه من تونس في شعبان ٥٨٣هـ/١١٨٧م لملاقاة بني غانية وأحلافهم العرب وغيرهم ، فهزمهم هزيمة مروعة عند منطقة الحمة التي تقع بين قابس ونفطة ببلاد الجريد سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م ، ترك العرب ابن غانية يواجه مصيره وهربوا ، وراجعت قبائل جشم ورياح طاعة المنصور بعد انتصاره " فنفاهم إلي المغرب الأقصي " [٦] كما أشخص المنصور بطـون العاصم ومقدم من الأثبج إلي المغرب الأقصى وأنزلهم تامسنا مـع جشم [٧] ، وكان هذا الترحيل الجماعي لأسباب أمنية توازنية بالدرجة الأولي [٨] ولعدم الطمائنية لهم ولكسر

---

(1) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ص١٧٥-١٨١ .

(2) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ص١٨٦ .

(3) مصطفي أبو ضيف ، أثر القبائل العربية ،ص٧٦ .

(4) أحمد عزاوي ، رسائل موحدية ، ١ص٧٧ ، ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص٤٥ .

(5) البيان المغرب ، ص١٨٨ .

(6) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص٤٥-٤٦ .

(7) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ٥٢ .

(8) محمد القبلي ، الدولة والولاية والمجال ،ص٥٢ .

شوكتهم [1] ، بجانب استخدامهم في جهاده ضد النصارى الأسبان [2] ، حيث زاد منهم في جيشه بعد عفوه عنهم ، وصيَّرهم من جملة الأجناد [3] ويرفع ابن أبي زرع [4] منزلة العرب في الجيش الموحدي في عصر المنصور إلي المرتبة الثانية بعد الموحدين مباشرة دليلاً علي كثرتهم ، حيث وثق بهم وعهد لهم بحماية الثغور [5] .

صمتت المصادر القريبة زمنيًا من الأحداث عن ترحيل المنصور لعرب إفريقية مثل صاحب المعجب المعاصر للموحدين وكذلك صاحب الاستبصار، وصاحب البيان مع أنّ الأخير قد رصد ترحيل السيد أبا زيد بن أبي حفص قائد الموحدين للعرب الجذاميين وغيرهم من عرب بجاية إلي سلا علي أثر دخول بني غانية بجاية ٥٨١هـ/١١٨٥م عندما خلعوا طاعة المنصور ولزموا خدمة ابن غانية[6] ، وكذلك يورد في أحداث سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م وصول دفعة من رياح وسليم " في جماعة وافرة من اعيانهم ووجوه انجادهم " بأمر المنصور [7] محاولا إضفاء الطوعية علي هجرتهم، وتجاهل ما حدث بعد موقعة الحمة من الترحيل القسري.

لكن ابن خلدون والسلاوي وليون يرصدون هذه الهجرة القسرية ويحددون مضاربهم في المغرب الأقصى حيث " أنزل (المنصور) حشم بلاد تامسنا ، ورياحا ببلاد الهبط ومنطقة أزغار مما يلي سواحل المحيط " طوعًا وكراهية [8] ، والسلاوي [9] يؤكد علي طواعية الهجرة وكثرة عدد المهاجرين ويحدد تاريخها بسنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م ، وأما ليون [10] فيورد أن المنصور اصطحب أهم رحالات العرب وأمرائهم إلي ممالك الغرب ؛ فأقطع زعمائهم منطقة دكالة وأزغار

---

(1) محمد عبد العمر ، الإقطاع وأثره السياسي ، ص٢٦١-٢٦٢ .

(2) لي تورنو ، حركة الموحدين، ص٨٥

(3) ابن عذاري البيان المغرب ، ص١٩٢ .

(4) الأنيس المطرب ، ص٢٢١ .

(5) ابن الأثير ، الكامل ، ١٠ص١٣٧ .

(6) البيان المغرب ، ص١٨١-١٨٢ .

(7) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ص ١٢٤ .

(8) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص٤٦ ،٥٨ -٥٩ ، تبدأ منطقة الهبط من جنوبي نهر الورغة ، وتنتهي شمالا علي المحيط ، وتتاخم من الغرب مستنقعات أزغار ،ومن الشرق الجبال التي تطل جبل طارق ، ليون ، وصف أفريقيا ، ص ٣٠٥-٣٠٦ .

(9) وكذلك صارت أرض للمغرب منقسمة بين أمتين أمة العرب أهل اللسان العربي وأمة البربر ، راجع الاستقصا ، ١ص١٦٢، ١٦٨ .

(10) وصف أفريقيا ، ص٥٦ .

أهم رجالات العرب وأمرائهم إلي ممالك الغرب ؛ فأقطع زعمائهم منطقة دكالة وأزغار [١] ، ومنح نوميديا لعامتهم ، وفي مكان أخر يقول [٢] أنه أختار الأثبج لسكني دكالة وسهول تادلة [٣] وهم أكثر العرب شرفا وأكثرهم أهمية .

مما سبق يُؤكِّـد علي أنَّ المُرحلين من عرب إفريقية علي زمن المنصور للمغرب الأقصى كانوا أكثر الهجرات عددًا علي مدار حكم الموحدين ويصفها أحد الدارسين بأنها أكبر التحركات البشرية التي عرفها تاريخ المغرب الوسيط[٤] ؛ فالهجرات التي تمت قبل المنصور في عهدي عبد المؤمن ويوسف استوعبتهم مراكش وأحوازها ، أمَّا في عهد المنصور ونظرًا لكثرة عددهم فتم إقطاعهم في مناطق الفراغ السكاني ، كان المنصور مهمومًا بهم ؛ لأنَّ كثرتهم أخلت بتوازن القوي في المنطقة لا هو أضعف بهم قبائل البربر ولا هم ظلوا أقلية يستطيع السيطرة عليهم ، ولم يسلم من شغبهم لذلك أوصي في مرض الموت بهم فقال " وهؤلاء العرب تداروهم وتلاطفوهم وتحسنوا إليهم ومن وفد عليكم منهم تعطوه وتحسنوا إليه غاية الإحسان وتشغلوهم بالحركات ولا تتركوهم للعطلة والراحات " [٥] .

عرب إفريقية والناصر (٥٩٥- ٦١٠ هـ/١١٩٩-١٢١٣م)

انتكست صورة التحالف الموحدي العربي في عهد الناصر فأصبح صوريًا بقدر ما يسمح للعــرب باستقلالهم الذاتي [٦] ، حيث فضت زغبة والشريد – وهما صدر سليم وكاهلهم [٧] في إفريقية – تحالفها مع الموحدين واتخذوا جانب بني غانية [٨] بعدما كانوا من أهم حلفاء الموحدين في المنطقة [٩] ، كما أعلنوا التمرد والثورة علي الموحدين في قسنطينة وما حولها

[1] يبدأ إقليم دكالة من غرب نهر التانسفت وتنتهي شمالا علي المحيط جوبي نهر العبيد غربي نهر أم الربيع وتمثل هــذه المنطقة مسافة أربعة أيام طولا ويومين عرضا تقريبا ، راجع ليون ، وصف أفريقيا ، ص١٥٧ .

[2] وصف أفريقيا ، ص٥٩ .

[3] إقليم تادلة يبدأ من نهر العبيد وينتهي عند نهر أم الربيع عند منبع هذا النهر وينتهي جنوبا بــين جبــال الأطلــس وينتهي شمالا عند مقرن نهر العبيد مع نهر أم الربيع ولهذه المنطقة شكل المثلث ، راجع ، ليون ، وصف أفريقيا ، ص١٨٣ .

[4] محمد المغراوي ، الهجرة العربية الكبرى ص٣١٢

[5] ابن عذاري ، البيان المغرب ، ص٢٣٢ .

[6] مصطفي أبو ضيف ، أثر القبائل العربية ،ص٨١ .

[7] بروفنسال ، مجموع رسائل موحدية ، ص٢١٦ .

[8] بروفنسال ، مجموع رسائل موحدية ، ص٢٥١ .

[9] أحمد عزاوي ، رسائل موحدية ، ١ص٦٦ ، ٢ص٢٥٣ .

سنة (٥٩٦هـــ/١١٩٦م) " وكثر عن العرب إشاعة المكروه والمجاهرة من السيئات ... واستطالـــوا علي الأطراف وجاروا علي النواحي والأكناف " [١] وعندما خرج إليهم والي الموحدين في بجاية أبو الحسن بن أبي حفص سنة ٦٠٠هـــ/١٢٠٣م لم يستطع إخماد ثورتهم وتجرع الهزيمة ، وابن عذارى المتحامل دائما علي العرب [٢] ينسب هزيمة الموحدين في قسنطينة من جانب الثوار العرب إلي خذلان عرب الموحدين لقائدهم وغدرهم به .

أمر الناصر الموحدي بنفي زعماء العرب وأشياخهم إلي الأندلس مباشرة وليس إلي المغرب الأقصى سنة ٦٠٠هـــ/١٢٠٣م ، حيث كانت أخر الهجرات القسرية لعرب أفريقية زمن الناصر الموحدي عندما جمع الرؤوس المدبرة للثورات علي سلطة الموحدين في إفريقية وأجلاهم إلي الأندلس [٣]، ورمي بهم في أتون المعارك الدائرة هناك ، حيث استوعب الناصر درس والده المنصور . بعدها توقف تهجير العرب من إفريقية بسبب ضعف دولة الموحدين وتشتيت جهودها بين الأندلس وإفريقية فضلا عن الصراع علي السلطة بين أبناء البيت الموحدي [٤] .

وصل الناصر سنة ٦٠١هـــ/١٢٠٤م إلي بلاد إفريقية لقتال ابن غانية وتأديب العرب الذين خرجوا عن الطاعة ، حيث دخل المهدية بعد حصار [٥] بمساعدة حسيسة من العرب الموالين له [٦] ، وعلي الجانب الآخر انضم أخلاط من بني سليم وبعض من رياح لابن غانية في مواجهة الموحدين [٧]، وقد حرص بنو غانية علي محالفة العرب لقتال صنفهم الموالين للموحدين لأنهم أخبر بهم ؛ فحاربت رياح الموالية لبني غانية أخوتها من عرب عوف والشريد أنصار الموحدين [٨] ، كما حالف ابن غانية بطون من نفاث وآل سليمان وآل سالم وهم من قبائل دباب [٩] لكنها محالفات مبنية علي المكاسب السياسية للعرب

---

(1) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ص٢٤٢ .

(2) البيان المغرب ، ص٢٤٢ .

(3) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ص٢٤٢ .

(4) عن قيام الدولة الحفصية في تونس راجع ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، ص٢٩٠ .

(5) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ٥٨٢ .

(6) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص٢٣٢ .

(7) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ص٢٤٥ ، تقع مضارب رياح بين قسطنتينة وبجاية حسب ابن ســعيد في بــسط الأرض ص٧٩ .

(8) أحمد عزاوي ، رسائل موحدية ، ١ص٦٦ ، ٢ص٢٥٣.

(9) أحمد عزاوي ، رسائل موحدية ،٢ص٢٥٣ .

.فعندما انهزم ابن غانية في أحواز قابس سنة ٦٠٢هـ/١٢٠٥م [١] انفضت عنه بطون عوف وانقلبت إلي صفوف الموحدين [٢] .

وهكذا استمر تقلب ولاء العرب بين ابن غانية والموحدين تارة والاستقلال تارة أخري ، وفي بعض الأحيان صدقت رهاناتهم وأحيانا أخري خسروها ؛ ففي سنة ٦٠٥هـ/١٢٠٨م هزم العرب المتحالفون مع ابن غانية جيش تلمسان بقيادة السيد أبي عمران الذي لقي حتفه في المعركة " ودامت علي قطر تلمسان مضرتهم ، وأخذوا ينتهكون عمرانها وينتهبون زروعها ، وبلغت المخنق نكايتهم وأذيتهم " ، وابن عذارى [٣] اختص العرب دون بنو غانية بالجريمة . وظلت الفوضى تعم تلمسان حتى جاء أبو زيد بن يوجان موفدًا من قبل الناصر واليًا عليها ؛ فهابوه ولاذوا بالصحراء ، ودارت علي إخوانهم بإفريقية الدوائر في سنة ٦٠٦هـ/١٢٠٩م عندما هزم محمد بن أبي حفص صاحب إفريقية ابن غانية ومن معه من العرب في معركة هامة بوادي أبي موسي عند جبل نفوسة[٤]" وكان معظم من هلك في هذه الموقعة وجوه رياح وانجادها ورؤساؤها المشغبة واجوادها"[٥] ، وكان زعيمهم في هذه المعركة محمد بن مسعود بن سلطان الرياحي [٦] .

ظلت فكرة نقل العرب من إفريقية إلي المغرب الأقصى قائمة ، لكن ضعف دولة الموحدين وخروج إفريقية عن سلطانهم صعب الفكرة ؛ و لم يعد متاحا سوي مُناشدتهم القدوم فقط ، مثلما فعل الرشيد عندما أمر عبد الله بن واندين والي البلاد الغربية في مكاتبة عرب إفريقية ، فأرسل إليهم بعدة رسائل تحمل دعوتهم للقدوم استخدم الشعر فيها مثل سابقيه أيضًا [٧] وعاد العرب في إفريقية سيرتهم الأولي بعد أن استقل أبو زكريا الحفصي بأفريقية سنة ٦٢٧هـ/١٢٢٩م عن الموحدين ، وتقرب إليهم أبو زكريا وصاهر رياح وأصبح غالبية جيشه من العرب [٨]

---

(1) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ص٢٩٠ .

(2) النويري ، نهاية الأرب ، ٢٤ ص١٨٥ .

(3) البيان المغرب ، ٢٥٢-٢٥٣ .

(4) احمد عزاوي ، رسائل موحدية ، ١ص٢٥١ .

(5) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ص٢٥٤-٢٥٥ .

(6) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص٥٨٦ .

(7) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ص٣٥٣، ٣٥٦

(8) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ص٣٩١ .

أسباب تردد العرب في الهجرة

ظلت كثيرٌ من البطون العربية في إفريقية ورفضت الهجرة إلي المغرب الأقصى وتقلبت في ولائها بين بني غانية والموحدين حسب ما يخدم مصالحهم ويبقي علي استقلالهم الذاتي ، ولعبوا دورا كبيرا في الفتن التي قامت بإفريقية ، وعقب كل فتنة اضطر الخلفاء الموحدون للخروج بأنفسهم للقضاء عليها ، وهذا ما فعله يوسف والمنصور والناصر ، و لم ينجح أحدهم في القضاء النهائي علي أهل الفتنة من القبائل العربية ، ولكنهم حدوا من خطرها ، وقد حال دون القضاء المبرم عليها أن تلك الفتن كانت تندلع وقت أن كانت جيوش الخلافة مشغولة مع القوي المسيحية في الأندلس فضلا عن طبيعة المنطقة الصحراوية [1] .

يرجع توجس العرب من دعوة عبد المؤمن وخلفائه ، وترددهم في الهجرة للمغرب الأقصى إلي طبيعة الهجرة نفسها ؛ فدائمًا ما تكون الهجرة بطبيعة الحال من أماكن طاردة إلي أخرى جاذبة، وعب إفريقية نعموا برغد العيش في مضاربهم بعد هجرة أجدادهم من مصر علي زمن بني زيري ، وفرضوا سلطانهم علي المنطقة ، وأصبح الجيل الثالث منهم يعتبر أن هذه البلاد هي بلادهم ولدوا فيها وتربوا علي ترابها ، " وقضوا فيها من الشباب عهودهم " [2] ، وسبب أخر يبدو في طبيعة العرب وهو عدم الانقياد ، فقد كان العرب أولاً وأخيرًا لا تنقاد لقائد [3] ، لذلك استخدم الموحدون كافة الوسائل التي تضمن ولاءهم في إفريقية ما داموا يرفضون الهجرة ، ومن هذه الوسائل تشجيع سياسة زوايا إفريقية في ترويضهم من خلال ما أطلق عليه بالاستتابة ؛ أي تحويلهم من قوة معادية إلي مهادنة أو موالية [4] .

---

(1) عز الدين عمر موسي ، الموحدون في الغرب الإسلامي ، ص٥١ .

(2) بروفنسال ، مجموع رسائل موحدية ، ص١٥٦ .

(3) بروفنسال ، مجموع رسائل موحدية ، ص١٥٦ .

(4) يظهر ذلك في ترجمة لأبي يوسف يعقوب الدهماني ت ٦٢١هـ حيث " هدي الله علي يديه أمما كثيرة من الأعراب والبوادي فنقلهم من اكتساب الحرام والإضرار بالناس إلي ملازمة الطاعة والاشتغال بالعبادات ،" راجع، الدباغ ، معالم الإيمان ، ٣ ص٢١٣، استفاد الموحدون من الأولياء ورجال الزوايا في الترويج لحكمهم فقد كان لهم حرمة كبيرة في النفوس وتأثير قوي علي العامة ، والخليفة المنصور من الخلفاء الذين ارتكنوا إلي هذا الجانب في فترة حكمه ، راجع (محمد زنبير ، المغرب في العصر الوسيط ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة محمد الخامس ، الرباط ١٩٩٩م ، ص٢٥٨) والدهماني من النساك العرب الذين عاصروا المنصور ودعوته لبني جلدته من العرب أقوي تأثيرا فيهم فيما لو كان بربريا

كره العرب الهجرة إلي المغرب الأقصى فجاءت هجرهم قسرية وكرها ، واستمر عزوفهم في عهد يوسف الذي استعمل سياسة والده عبد المؤمن في الاستدعاء والاستدناء ؛ فالبدو متمردون بطبعهم علي السلطان ، فمنذ أن كانوا في الحجاز كرهوا محالفة السلطة ، وكانوا دائما في ركب المعارضين ، وثاروا علي كل سلطان يحد من حريتهم ويكبح طموحاتهم ويسلبهم حرية الحركة ، ويوصد أمامهم أبوابا ظلت في نظرهم مستباحة ، ويقيدهم في إطار النظام والقانون ، ويخضعهم للثواب والعقاب ؛ فانضموا إلي القرامطة المعارضين للخلافة العباسية دون اعتبار لاختلاف المذهب.

كما أنّ المغرب الأقصى ليس فيه من المحفزات التي تثير فضول العرب ، واستقرارهم في إفريقية أكثر من مائة عام قبل عملية التهجير خلق لديهم نوعا من الاستقرار والارتباط بالمنطقة ، بخلاف المغرب الأقصى الذي كان مجهولا بالنسبة لهم ، حيث لم تطرقها القبائل العربية من قبل إلا في أعداد صغيرة وفدت إلي هناك زمن الفتح وعلي عصر الأدارسة[1] ، وتدل الغنائم التي غنمها الموحدون من العرب سنة ٥٤٨هـ/١١٥٣م علي مدي ما حازوه من نعم في إفريقية [٢] ، وكذلك تردد الزعماء في قبول دعوة الخلفاء[٣].

واختيار مناطق بعينها لتكون مكانًا للإقامة الجبرية هو ما جعل أبو سرحان مسعود بن سلطان بن زمام زعيم رياح الذي لم يصبر علي الانقياد للسلطة الموحدية التي كانت في عزّ عنفوانها، فقد وفد إلي المغرب الأقصى سنة ٥٧١هـ/١١٧٥م في عهد يوسف [٤] حيث لم يطب له المقام هناك وفرّ منه سنة ٥٩٠هـ/١١٩٣م إلي إفريقية ، وطلب الحرية مرة أخري في مجالات أوسع بين مضارب هلال في إفريقية والمغرب الأوسط ، حيث الكيانات السياسية الضعيفة مثل بني غانية التي يمكن أن يفرض شروطه عليها ، فنزل طرابلس علي زغبة وذياب من قبائل بني سليم[٥] .

---

(1) لم تكن البطون العربية التي وصلت إلي المغرب الأقصى زمن الأدارسة قادمين من القيروان من جذر واحد فقط بل كانوا من بطون شتى من الأزد ومذحج والقيسية وغيرهم ، وكذلك من أتي من الأندلس كانوا خليط من نسل الفاتحين (ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص٤٦-٤٧؛ كما أسس بنو صالح الحميريون إمارة لهم في نكور ظلت فترة طويلة ، راجع ، ابن عذاري ، البيان المغرب ١ص١٧٦-١٨١.

(2) بروفنسال ، مجموع رسائل موحدية ، ص٣٢ .

(3) ابن صاحب الصلاة ،المن بالإمامة ، ص٣٣٠ .

(4) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ٢١٢ ، الناصري ، الاستقصا ،١ص١٦٨-١٦٩ .

(5) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص٤٧ .

العرب في المغرب الأقصى

يطرح أحد الدارسين[1] عدة تساؤلات عن إصرار الخلفاء الأوائل علي تهجير العرب إلي المغرب الأقصى من قبيل هل كان توظيف القبائل العربية بسبب قلة السكان في المغرب الأقصى الذين كانوا لا يزيدون عن بضعة ملايين ؟ أم الأمر يتعلق أكثر بالظروف السياسية المضطربة التي أحاطت بالدولة الموحدية حتى في أزهي مراحل تاريخها فحرمتها نعمة الاستقرار ؟ ، وتبدو الإجابة علي هذه التساؤلات بنعم هي الأقرب إلي الصحة خاصة إذا علمنا أن توزيع العرب بالمغرب الأقصى لم يكن قد تم برغبتهم بقدر ما كان قرارا سياسيا للدولة الموحدية التي كانت شديدة التمركز حريصة علي ضبط إستراتيجيتها الأمنية[2]؛ فعندما أنزل الموحدون جشم في تامسنا كان الغرض احتوائهم في منطقة مقفلة عليهم ، وأبعادهم عن الممرات المفضية إلي الصحراء التي كانت تحت حراسة سيطرة البربر [3] حتى لا ينساحوا في صحراء المغرب الأقصى ، ويفقد الموحدون السيطرة عليهم ، وبالتالي لم يتركوا للعرب فرصة الاختيار إنّما أقطعوهم في أماكن كانت فيما يبدو مُعدّة سلفًا كقول القبلي [4] ، يُؤكـّـد ذلك رفض المصامدة أنفسهم أن يترلوا في هذه السهول رغم توفر الفراغ الناتج عن الحرب وما تلا الحرب من تقتيل جماعي واضطهاد ، ومن ثم بدأ التفكير في استقدام القبائل العربية من إفريقية وتوزيعها بهذه بالسهول ، فلمّا نزلوا هذه المناطق لم يطب لهم المقام إلا علي طريقتهم الخاصة في قطع الطريق علي السابلة والاعتداء علي مزارع السكان [5] ، " وعاثوا في الناس شمالا ويمينا " [6] ، وسلبوا الماشية والأموال [7] ، و لم ترض بعض بطونهم بالمناطق التي وطنها الموحدون فيها ، وبدأت في النزوح إلي أماكن أخري مما سبب العديد من المشاكل ،

---

(1) محمد المغراوي ، الهجرة العربية الكبرى إلي المغرب الأقصى ، ص٣٢١

(2) محمد المغراوي ، الهجرة العربية الكبرى إلي المغرب الأقصى ، ص٣٢٠

(3) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص٥٩ .

(4) محمد القبلي ، الدولة والولاية والمجال ، ص ٤٦ .

(5) التادلي ، التشوف إلي رجال التصوف ، تحقيق: أحمد توفيق ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ، ١٩٩٧م ط٢ ، ص٣٠٩

(6) التادلي ، التشوف ، ص٣٨٣

(7) التادلي ، التشوف ، ص٤٠٩

الأمر الذي دعا الناصر إلي إرسال جيشه لتأديب هذه القبائل وإعادة توطينها في المضارب التي اختارها لهم [١] .

ويبدو أن رؤية عبد المؤمن لتوطين العرب في المغرب الأقصى كانت أفضل بكثير من رؤية أسلافه عندما قسم العرب علي البلاد [٢] ، حيث وزع الأسري علي مدن فاس ومكناس وسلا[٣] دون اعتبار لأماكن الفراغ السكاني ، حيث أراد أن يفتت عصبيتهم وأن يخالطوا أهل البلاد من البربر ، ومع ذلك فأن هذه المجموعات لم تنصهر بسهوله في مجتمعهم المحلي [٤] ، ويظهر أن العرب احتاجوا لكثير من الوقت للتكيف مع الظروف الجديدة والتحول من رعاة رحل إلي زراع مستقرين[٥].

اتسمت العلاقة بين العرب والسلطة الموحدية في المغرب الأقصى في بداية تهجيرهم بالود ؛ إذ اعتبرهم عبد المؤمن ظهيرًا له بإدعائه انتسابه إليهم ، واستخدمهم في تولية ولده محمدا وليًا للعهد[٦] بمبادرة منهم " لجمع الكلمة وضم أشتات المصالح المقدمة باتم وجوه التبيين ، ... ويقطع أسباب الاختلاف ، ويفتح أبواب الائتلاف " [٧] ، كما حاول الخليفة الثاني يوسف ترويضهم، وحتى عندما أثاروا الشغب في حضرته عند استقباله لهم في مراكش عفا عنهم [٨] ، ثم كانت علاقتهم مع المنصور متوترة فهو الوحيد من بين الخلفاء الذي فطن إلي خطر العرب في إفريقية وفي المغرب الأقصى ، فاستخدم القوة في نقل بعض بطونهم من إفريقية إلي المغرب الأقصى وأوصي بهم في مرض الموت[٩] ، حاول المنصور بتغريب هؤلاء أن ينهي مشكلات شرقي دولته فأورثت سياسته هذه المغرب الأقصى مشكلة اقتصادية كبري غلبوا علي دكالة حتي عربوها وألجأوا غمارة إلي الجبال، وزاحموا جزولة بالسوس فغلبوها فصارت لهم خولا وأحلافا [١٠]

---

[1] أحمد عزاوي ، رسائل موحدية ، ١ص٢٣٢

[2] البيدق ، أخبار المهدي بن تومرت ، ص١١٦

[3] ميراندا ، التاريخ السياسي ، ص١٥٦

[4] إبراهيم حدلة ، المجموعات القبلية البدوية ، ص١٦١

[5] محمد المغراوي ، الهجرة العربية الكبرى إلي المغرب الأقصى ، ص٣١٩

[6] ابن عذارى ، البيان المغرب ، ص٤٩ .

[7] بروفنسال ، مجموع رسائل موحدية ، ص٦٢ .

[8] ابن عذارى ، البيان المغرب ، ص١١٧ .

[9] ابن عذارى ، البيان المغرب ، ص ٢٣٢ .

[10] عز الدين أحمد موسي ، النشاط الاقتصادي ، ص٩٩

ظن المنصور أنه أخضع العرب نهائيا عندما انزلهم علي مقربة من عاصمته ، فكان هذا الظن معقولا ما بقيت سلطته المركزية قوية ، بيد أن العرب لم يبدلوا شيئا من مسلكهم السابق و لم يندمجوا في سكان المغرب الأقصى ، وكانوا يشكلون قوة كامنة مستعدة لإثبات وجودها كلما سمحت الظروف بذلك ، وقد ظلت هذه القبائل وفية لنزعاتها الاستقلالية ، وخلق وجودها مصدرا أضافيا من مصادر الاضطراب السياسي في المغرب الأقصى ، مما أدي إلي قيام الفوضى في نهاية الأمر ، فضلا عن ذلك فإن هذه القبائل اشتغلت بالرعي في منطقة كان يمكن أن تقوم فيها زراعة مجزية للأرض ، وهكذا فأن الخليفة المنصور أدخل بنفسه في قلب إمبراطوريته عاملا من عوامل الفوضى السياسية والاقتصادية (١)

لم يصبر العرب طويلا رهن سيطرة السلطة الموحدية في المغرب الأقصى إذ سرعان ما أثاروا الشغب بعد موت المنصور ، واقلقوا راحة الناصر ، حيث ثارت بعض بطون الأثبج التي وضعت بتادلة (٢) ، وانتقلت إلي تامسنا ، وهناك أثارت مشاكل مع من كانوا بالمنطقة ؛ ، كما عاثت البطون الأخرى فسادا في مناطق نزولهم وما حولها (٣) ، لكنهم ظلوا تحت السيطرة ، وما أن انفصلت الأندلس بعد موقعة العقاب (٦٠٩هـ/١٢٠٧م) ، واستقل الحفصيون بإفريقية (٦٢٧هـ/١٢٣٠م) ، حتى استبد العرب بمضاربهم وانفضوا من عقالهم (٤) .

بدأ العرب في استغلال الظرف بعد أن أصبحت قوتهم تؤثر في مجري الأحداث في المغرب الأقصى ، يعرضون خدماتهم لمن يدفع أكثر من الموحدين أو من البربر ، ويسر لهم النزاع علي الخلافة فرصة عظيمة وتجارة رابحة في هذا المجال ، ويبدو أنهم أصبحوا يحتفظون بتنظيماتهم العسكرية خارج نطاق الجيش الموحدي ؛ إذ أصبح لكل بطن من البطون قواتها الغير نظامية التي يقودها زعيمهم يتحالف مع هذا أو ذاك ، لا يتقيدون بأوامر ، ولا يعرفون نظامًا ، ولا هم لهم إلا السَّلب والنَّهب (٥) ، حيث كانوا يستولون علي كل ما تصل إليه أيديهم من غنائم كانتساف الزروع ونهب المدن دون اقتسامها مع الموحدين (٦) مستغلين الضعف الداخلي للدولة الذي بدا في عهد المستنصر بن الناصر (٦١٠-٦٢٠هـ/

(1) لي تورنو ، حركة الموحدين ، ص٩٠

(2) ليون ، وصف أفريقيا ، ص٥٩ .

(3) التادلي ، التشوف إلي رجال التصوف ، ص٣٠٩ ، ٣٨٣ ، ٤٠٩ .

(4) عز الدين عمر موسي ، الموحدون في الغرب الإسلامي ، ص٥٧ .

(5) عز الدين عمر موسي ، الموحدون في الغرب الإسلامي ،ص٢٦٣ .

(6) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ص٣٣١-٣٣٣ .

١٢٢٤-١٢٣٥م) أكثر خطورة واستشراء ، ولو أن ذلك لم يظهر فورا ، وكما جاء في الإنجيل " ويل لمدينة أميرها طفل " [1]

ظهر أول اختبار لقوة العرب في المغرب الأقصى سنة ٦٢٤هـ/١٢٢٦م خلال الصراع علي السلطة بين العادل (٦٢١-٦٢٤هـ/١٢٢٦م) وأخيه المأمون (٦٢٤-٦٢٩هـ/١٢٢٦م-١٢٣١م) [2] ، حيث كان ذلك أول مرة يشارك فيها العرب في الصراع علي السلطة ، إلا أنهم بعد ذلك شاركوا بصورة مستمرة ومطردة وقاموا بدور مهم في جميع الأحداث التالية تقريبا [3] ، أكبر هذه القبائل هي جشم (الخلط ، سفيان ، بني جابر) فعندما جاءوا من إفريقية كان عددهم كبيرا " لا يحمله إلا البساط الفياح والفضاء المنداح" [4] ، وأصبحوا أكثر بطون العرب في المغرب الأقصى عددا ونفيرا وتأثيرا ، وتدخلت جشم في الصراع علي السلطة بين يحي بن الناصر (٦٢٤-٦٣٣هـ) وعمه المأمون (٦٢٤-٦٢٩هـ) وأبنه الرشيد (٦٢٩- ٦٤٠هـ) فيما بين سنة ٦٢٦-٦٣٢هـ/١٢٢٩- ١٢٣٤م ، حيث وقف الخلط مع المأمون وابنه في العاصمة مراكش [5]، وعلي الجانب الآخر راهنت سفيان علي يحي بن الناصر [6] ، وظهر العداء واضحا بين بطون جشم عندما تعارضت المصالح [7] ، وبدت بينهما العداوة البغضاء ، وبلغ التّنافس فيما بينهما شأوا كبيرًا من خلال مُناصرة المتنافسين علي السُّلطة في مراكش . لم يكن أمام الخلفاء بد من الاحتماء بهذه القبائل فقد حتمت الظروف الالتجاء إليها رغم جشعها وقلة انضباطها [8]

أدت مشاركة القبائل العربية في الصراع علي السلطة بين خلفاء الموحدين إلي تعرضهم لانتقام المنتصرين من الخلفاء لتمترسهم خلف المعارضيهم ؛ ففي عهد الرشيد تعرض الخلط المنشقين

---

[1] لي تورنو ، حركة الموحدين ، ص١٠٥ ، تولي المستنصر الحكم وسنه عشرة أعوام أو نحوها ، والخليفة الناصر تولي الحكم و لم يكن يتجاوز عمره سبع عشرة سنة وأشهر راجع ، ابن عذاري ، البيان المغرب ، ص٢٦

[2] ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص٦٣ ، دعا المأمون لنفسه في اشبيلية سنة ٦٢٤هـ/ وخلع طاعة أخيه العادل وقتل الموحدون في مراكش العادل وبايعوا يحي بن الناصر في نفس العام وظل المأمون منتزيا باشبيلية وانقسم الموحدون بين يحي بن الناصر والمأمون ، راجع ابن عذارى ، البيان المغرب ، ص٢٧١ ، ٢٩٧ .

[3] لي تورنو ، حركة الموحدين ، ص١٠٧

[4] بروفنسال ، مجموع رسائل موحدية ، ص١١٩ .

[5] ابن عذارى ، البيان المغرب ، ص ٢٨٤، محمد القبلي ، الدولة والولاية والمجال ، ص٤٧ .

[6] ابن عذارى ، البيان المغرب ، ص٢٨٤ ، ٣٠١ ؛ ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص٢٤٩ .

[7] ابن خلدون ، العبر ، ٦ص٦٠ .

[8] ميراندا ، التاريخ السياسي ، ص٤٧٤

عليه لمحنة سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٧م اغتيل فيها شيوخهم [١]، و لم يسلم النساء والذرية ، وتساوت الحرة العربية الصريحة والأمة في العبودية ، و لم ينجهم من ذلك إلا توسط أعدائهم من سفيان وبني جابر حلفاء الرشيد في ستر بنات الخلط [٢] ، وفي نهاية حكمه أجلي جميع الخلط إلي السُّوس [٣] ، وفي عصر سلفه السعيد ٦٤٠- ٦٤٦هـ لعبت بطون جشم علي نغمة الصراع الموحدي المريني ؛ فتارة مع الموحدين ، وأخري إنحازوا إلي بني مرين ، الذين بدأ ظهورهم علي الساحة بشكل قوي سنة ٦١٠هـ/١٢٢٤م ، كما أنّ بطون القبيل الواحد ربما تُوزِّع ولاءها بين الخصمين تبعًا للمُصالح السياسية والاقتصادية ؛ فعندما تولّي السعيد شقيق الرشيد عاود التحالف مع زعماء الخلط أعداء أبيه [٤] واستدعاهم من السوس ومن جميع مضاربهم في المغرب الأقصى وقربهم إليه [٥] كما جدد تحالفه مع بني جابر [٦] ، وفي المقابل تخندقت سفيان بجانب بني مرين منذ سنة ٦٣٨هـ/١٢٤٠م بزعامة كانون بن جرمون الذي تولّي زعامة سفيان بعد موت أبيه سنة ٦٣٩هـ/١٢٤١م [٧] .

وعندما تولّي المرتضي ٦٤٦-٦٦٥ هـ/١٢٤٨-١٢٦٦م خلفًا للسعيد ، وتقدم علي سفيان أخو كانون يعقوب بن جرمون ، أقرَّ المرتضي " له ببلاده علي بغيته ومراده " ، ومع ذلك لم يستمر ولاء سفيان للمرتضي كثيرًا ، حيث مال إلي بني مرين التي بدأ يسطع نجمها في الأفق ولديها طموح السلطة [٨] وتدخلت هي الأخرى في إشعال فتنة السلطة داخل البيت الموحدي عندما طلب الواثق أبو دبوس (٦٦٥-٦٦٧هـ/١٢٦٦-١٢٦٨م) أخر خلفاء الموحدين المعونة منهم فوجدها من العرب حلفاء بني مرين من الخلط وسفيان وتعرض زعيم سفيان بن مسعود بن كانون للحبس في مراكش من جانب المرتضي [٩]

رأت جشم ببطونها الثلاث أن الكفة تميل إلي جانب أبي دبوس ؛ فقاد سفيان علوش بن كانون شقيق مسعود ووصل إلي مراكش ودق برمحه باب الشريعة ، ولحق به أبو دبوس ومناصروه فدخلوا المدينة وخلوا سبيل زعيم سفيان سنة ٦٦٥هـ/١٢٦٦م ، وفرَّ المرتضي بأولاده وذويه

---

(1) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص٦٤ .

(2) ابن عذاري ، البيان المغرب، ص٣٤٦ .

(3) ابن عذاري ، البيان المغرب، ص٣٥٨ .

(4) الناصري، الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى ، تحقيق : جعفر الناصري، ومحمد الناصري، دار الكتاب ، الدار البيضاء ١٩٩٧م ، ١ ص٢٤٧ .

(5) ابن عذاري ، البيان المغرب، ص٣٦٠ .

(6) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ص٣٧٠ .

(7) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص٦٠ .

(8) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ص ٤٠١ ، ٤٠٨.

(9) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ص٤٣٥

يبحث عن ملجأ يُؤيه فتنصل منه ولاته وأحبائه حتى وقع أسيرا في أزمور. وكذلك فعل بنو جابر إذ انقسموا بين مؤيد للمرتضي ومعارض رام الدخول في طاعة أبي دبوس [1] .

شاركت بطون من رياح والمعقل قبائل جشم في سكنى المغرب الأقصى والمصادر لم تعكس الكثير من أخبارهم لقلة أعدادهم التي لا تقارن بأعداد جشم ، أمّا رياح التي كانت أقوي قبائل عرب المغرب وأشجعها وأكثرهم خيلاً وأموالاً ورجالاً [2] ؛ فتقلصت أعدادهم في المغرب الأقصى بسبب عودة زعيمهم أبي سرحان سنة ٥٩٠هـ/١١٩٣م إلي إفريقية ، ومعه الكثير منهم[3] مما حجم دورهم كثيرا في المغرب الأقصى ، لكنهم ظلوا في أماكن استقرارهم ببلاد الهبط وأزغار أشد ضررا " بالاختلاس والافتراس " [4] ، إلي أن انقرضت دولة الموحدين [5] ، فتصدوا لبني مرين عندما انتهزوا فرصة هزيمة الموحدين في موقعة العقاب سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م[6] ، وظلّوا علي عداء معهم ومع البطون الزناتية الضاربة بأحواز مكناسة فاس ، وعندما قويت شوكة بني مرين هاجموا رياح سنة ٦٣٧هـ/١٢٣٩م واستولوا علي دواويرهم وعلي ما فيها من دواب وأثاث وسلاح [7] .

أمّا قبائل المعقل[8] ؛ فتوزعت عبر الشريط الحزامي الفاصل بين سهل سوس وما وراءه وبين أقصي الشمال الشرقي للبلاد ، وتوزعت مضاربهم بين وادي فاس [9] ودرعة وسجلماسة[10] ، وحين دخلوا إلي بلاد المغرب يقال أنهم لم يبلغوا مائتين [11] ، لكنهم مع قلة أعدادهم في المغرب الأقصى استطاعوا أن يلعبوا علي التوازنات السياسية بما انضم إليهم من عدي الهلالية [12] ، وتدخلوا في الصراع علي السلطة بين المأمون ويحي بن الناصر ، لم تعكس المصادر الكثير من أخبارهم لقلة عددهم في المغرب الأقصى ، بيد أنهم مثلوا قوة في مناطق استقرارهم ، حيث استجار

---

(1) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٤٤٠-٤٤٢

(2) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص٢٨٦ .

(3) ابن خلدون ، العبر ، ٦ص٤٧ ؛ الناصري ، الاستقصا ، ١ ص١٦٨-١٦٩ .

(4) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ٢١٢ .

(5) الناصري ، الاستقصا ،١ص١٦٨-١٦٩ .

(6) محمد القبلي ، الدولة والولاية والمجال ، ص٤٤ .

(7) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ص٣٥١ .

(8) ابن خلدون العبر ، ٦ ص٣٦ . عن الشك في نسب عرب المعقل راجع ص٥ هامش ٣

(9) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ص٣٩٧ .

(10) ابن خلدون ، العبر ، ٦ص١١٩ .

(11) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص١١٩ .

(12) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص٣٦ .

بهم يحي بن الناصر لكنهم لم يرعوا حق الإجارة ؛ فقتلوه وحملوا رأسه إلي الرشيد بن المأمون في مراكش [1] ، كما دعموا المتمرد عبد الله بن زكريا الهزرجي بسلجماسة ٦٤١هـ/١٢٤٣م ضد الموحدين ، وقطعوا الطريق علي السابلة والتجار[2] ، و لم يتوانوا في مساندة أبي يحي عبد الحق المريني سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٧م عندما أستولي علي سجلماسة [3] ، وظهرت قوتهم بوضوح في سجلماسة علي زمن الخليفة المرتضي [4] ، وكانوا أحلافا لزناتة سائر أيامهم [5] .

يبدو من الأحداث السابقة انغماس العرب في الصراع علي السلطة حيث كانوا في المغرب الأقصى أغرابا في بلاد معظم سكانها من البربر ، فضلا عن أنهم دخلوا المغرب الأقصى رغم إرادتهم فرأوا أن من حقهم التصرف حسبما تمليه عليهم مصالحهم العاجلة وتحالفوا مع أفضل مساوم و لم يترددوا في تبديل موقفهم أذا بررت الظروف لهم ذلك ، ويحذر أحد المستشرقين [6] من المبالغة في تأثير العرب علي ضعف وانهيار دولة الموحدين ، ويبرر ذلك بأن العرب إنما انتهزوا فرصة ظروف لم تكن من صنعهم ، فقد تأخروا في المشاركة في الصراع علي السلطة في وقت كان فيه عدة خلفاء يتصارعون عليها ، وكانت وحدة الموحدين قد تقوضت بالفعل ، ولذلك فلا يمكن اعتبار العرب مسئولين عن ضعف الموحدين لأنهم لم يزيدوا الوضع تفاقما إلا حين كان محتملا أنه استعصي علاجه و لم يقوموا بهذا الدور إلا عندما أتاح المغرب الأقصى الفرصة لهم ، لكن يمكن القول أنهم ساهموا بالتعجيل في انهيارها ، لكن الميزة الوحيدة للتهجير كانت تعريب مناطق بربرية شاسعة في السهول الأطلسية والمناطق المجاورة لها ، لكن التعريب توقف عند أقدام الجبال ، ومع ذلك فقد تأثرت عربية عرب التخوم ببعض التأثيرات الأمازيغية ، ويبدو أن انعزال عرب المعقل في الصحراء ساعدتهم علي الاحتفاظ بكثير من مقومات هويتهم بما فيها اللغة[7].

العرب والاقطاع في إفريقية والمغرب الأقصى :

(1) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص٢٤٩ .

(2) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ص٣٥٧ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ .

(3) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ص٤١٠-٤١١ .

(4) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ص٤١١ ، محمد القبلي ، الدولة والولاية والمجال ، ص٤٦ .

(5) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص١١٩ .

(6) لي تورنو ، حركة الموحدين ، ص١١٩

(7) محمد المغراوي ، الهجرة العربية الكبري إلي المغرب الأقصى ، ص٣٢١

تدهور نظام ملكية الأرض واضطرب بعد استيلاء قبائل بني هلال وبني سليم علي إفريقية والمغرب الأوسط [1] ، وأربك غزو العرب التعاطي مع قضية الملكية ، وتحولت الأراضي إلي إقطاعات رعوية غلب عليها الطابع البدائي في الإنتاج ، وعندما جاء الموحدون إلي إفريقية والمغرب الأوسط وجدوا نظامًا غير ثابت للملكية فرضته الظروف السياسية ؛ حيث كانت ملكية الأرض تتغير مع كل وافد جديد نتيجة تكفير الخصوم واستحلال أموالهم [٢] ، لذلك في سنة ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م أمر عبد المؤمن بن علي بأجراء مسح عام لجميع الأراضي التابعة لدولة الموحدين ، وفرز المناطق القابلة للزراعة عن الغابات والأراضي القاحلة حتي يتسنى جباية الضرائب علي أساس سليم[٣] ، واعتبر الموحدون بلاد المغرب الأقصى في عداد الأراضي التي فتحت عنوة ، فلم يترددوا في الاستحواذ شرعًا علي الأرض الزراعية بمختلف أنواعها ، ثم تعاملوا مع مالك الأرض الأصلي بمثل ما تعامل به الفتح الإسلامي مع المغلوب من أهل الذمة أو أشد بكثير في بعض الأحيان [٤] .

هذا الوضع الجديد في الملكية أفرز معه أنظمة جديدة في الإقطاع ، ومن أهم هذه الأنظمة ما ارتبط بالعرب فيما يطلق عليه (إقطاع الجباية أو إقطاع التضمين) ، وهو تفويض للعرب في تحصيل ضريبة الأرض من الملاك في منطقة محددة في مقابل إعفاء أراضيهم من الضريبة أو نسبة من الأموال المحصلة، وقد أثار ذلك شكوك الفقهاء في إفريقية في شرعية هذا العمل بالنهي عن شراء المتحصل لهم ثم أجازوه بعد ذلك [٥] ، ويبدو أن المنصور وضع أصولا لهذا الإقطاع سنة ٥٨٤هـ/١١٥٣م عندما كان في إفريقية " وربط أشغال العرب إلي قوانين يوقف عليها " [٦] ، واختيارهم لهذه المهمة يرجع إلي قوتهم ومهابتهم ، ولضعف هيبة الدولة في المنطقة ، وارتبط هذا الإقطاع (إقطاع الجباية) بإفريقية والمغرب الأوسط في بداية الأمر [٧] .

---

(1) الحبيب الجنحاني ، المجتمع العربي الإسلامي، ص٢٣٧ .

(2) محمد عبد العمر ، الإقطاع وأثره السياسي ، ص ٤٧ ، ٨٦-٨٧ .

(3) السلاوي ، الاستقصا ، ص ١٣٩ ؛ عبد الواحد ذنون طه ، دراسات في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي ، دار المدار الإسلامي ،طرابلس ليبيا ٢٠٠٩م ، ص٢١٥ .

(4) محمد القبلي ، الدولة والولاية والمجال ،ص٣٥ .

(5) البرزلي ، فتاوى البرزلي ، ٣ ص٢٤٧

(6) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ص١٩٧ .

(7) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص٤٩ .

أقطع الموحدون بنو يزيد من زغبة إقطاعات في منطقة بجاية ، واستظهرت الدولة بهم علي جباية رعاياها في المنطقة من صنهاجة وزوارة عندما عجزت عساكر بجاية من جبايتهم [1]، وكذلك أقطع الموحدون قبيلة كرفة من الأثبج جباية الجانب الشرقي من جبل أوراس وكثيرًا من بلاد الزاب الشرقية [2] ، وهذا البطن من الأثبج من الموالين للموحدين في إفريقية، حيث استعملوهم ضد بني سليم المعارضين لهم ، ويكتب ظهير (حجة) بإقطاع الجباية يحـــدد فيه مناطق الجباية [3] .

تحوَّل الإقطاع في بعض الأحوال من إقطاع تمليك إلي إقطاع جباية بالغلب ؛ بأن يتحول فيه العرب من جبي الضريبة لصالحهم إلي جمعها للسلطان في حالة هزيمتهم وضعفهم ، فعندما ضرب حكام الموحدين العرب بعضهم بعضا مثل بطون الأثبج ، عياض ، والضحاك ، الذين نزلوا بمنطقة قلعة بني حماد وملكوا القبائل حولها " وغلبوهم علي أمرهم ، وصاروا يتولون جبايتهم ، ولما غلبت عليهم الدولة بمظاهرة بطون رياح صاروا إلي المدافعة عن تلك الرعايا وجبايتهم للسلطان " [4] ، كما كان لبعض البطون العربية أملاك خاصة مثل بني القائد في بجاية الذين أجلاهم المنصور إلي سلا قسرًا ؛ جزاء لمساعدتهم بني غانية في دخول المدينة فأجبرهم " وأصهارهم وذويهم علي بيع أملاكهم وديارهم" . ويري أحد الدارسين [5] أن سبب انضمام العرب لبني غانية وهزيمتهم للموحدين في قفصة هو حرمانهم من الإقطاع فيما أقطع العرب الذين هاجروا إلي المغرب الأقصى.

أمَّا الإقطاع العسكري فقد كان مستعملا في المشرق الإسلامي ؛ إذ عرفه البويهيون والسلاجقة في العصر العباسي الثاني ، وكانت إرهاصاته الأولي في غربي العالم الإسلامي علي زمن المرابطين في الأندلس والمغرب الأقصى علي شكل إقطاعات صغيرة [6]، ويبدو أنَّ التركيبة القبلية والعصبية كان لها دورا في تحجيم الإقطاع العسكري في المغرب عنه في المشرق [7] ويطلق علي الإقطاع العسكري في المغرب السهام [8] ، والغاية من الإقطاع الموحدي هو دفع الرَّواتب أو

---

(1) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص٨٧ .

(2) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص٤٩ .

(3) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٣٠٥ .

(4) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص٥٣ .

(5) محمد عبد العمر ، الإقطاع وأثره السياسي ، ص٢٦١-٢٦٢ .

(6) الحبيب الجنحاني ، المجتمع العربي الإسلامي ، عالم المعرفة ، الكويت ٢٠٠٥م ، ص٢٣٨ .

(7) الحبيب الجنحاني ، المجتمع العربي الإسلامي ، ص٢٥٠ .

(8) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ص٤٠٥ .

تسكين من يخشون فتنته (إقطاع تسكين) [1] أو تأليفا للقلوب (إقطاع تأليف) للثوار العرب الذين جاءوا طائعين أو لقاء خدمة أو هبة [2] .

يطلق علي الإقطاع العسكري أيضا إقطاع الرقبة حيث يتحرر صاحب الإقطاع من دفع ضرائب مالية أو عينية للدولة ، ومن الإقطاعات العسكرية في إفريقية زمن الموحدين ما أقطعوه للعرب في إفريقية بعد زوال حكم بني زيري حيث صيروهم جندًا لهم وأقطعوا رؤساءهم بعض تلك الجهات [3] وفي إفريقية خاصة لم يكن من المعهود التصرف في الإقطاع العسكري بالبيع أو الحبس باعتبار أنه إقطاع منفعة لا تمليك فيه [4] وهناك إشارات إلي وجود إقطاع انتفاع للعرب في إفريقية حاول بعضهم أن يجعله إقطاع تمليك عن طريق تجديد الورثة ظهير الإقطاع من ولي الأمر [5] بيد أنهم لم يكونوا يجددون وثائقهم بصورة منتظمة ويصعب إلغائها لذلك اكتسى الإقطاع عمليا في كثير من الحالات صبغة وراثية[6] ومن ثم تحول إقطاع الانتفاع إلي تملك نهائي بطريقة تدريجية[7] ، ويكون لصاحب الإقطاع حق التصرف الكامل في إقطاعه بالبيع والتوريث والرهن نظير الخدمات العسكرية [8] ،ويمكن اعتبار الاقطاعات التي اقطعها الحفصيون لفرسان رياح وبني وائل وبني حكيم في إفريقية الذين تابوا عن مغالبة السلطة من الاقطاعات العسكرية [9].

أقطع المنصور في المغرب الأقصي بلاد الهبط لقبيلة رياح ، وتبدأ منطقة الهبط من جنوبي نهر الورغة ، وتنتهي شمالاً علي المحيط ، وتتاخم من الغرب مستنقعات أزغار ، ومن الشرق الجبال التي تطل علي جبل طارق[10] ، وأقامت رياح في هذه المناطق إلي أن انقرضت دولة الموحدين[1]

---

(1) عز الدين أحمد موسي، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الشروق ١٩٨٣م، ص١٤٥

(2) عصمت دندش ، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين ، دار الغرب الإسلامي ، ١٩٨٨م ، ص١٦٠ .

(3) عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق : محمد سعيد العريان ، محمد العربي العلمي ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ١٣٦٨هـ ، ص٢٢٥ .

(4) محمد حسن ، المدينة والبادية ، ص٣٢١

(5) البرزلي ، فتاوى البرزلي ، ٤ ، ص٤٥٨

(6) برنشيفك ، تاريخ إفريقية ، ٢ص١٩٤

(7) محمد حسن ، المدينة والبادية ، ص٣١١

(8) محمود إسماعيل ، سوسيو لوجيا الفكر الإسلامي ، سينا للنشر ، القاهرة ١٩٩٢م ، ٣ص٩٩

(9) الدباغ ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، تحقيق : محمد ماضور ، المكتبة العتيقة ، تونس ١٩٧٨م ، ٣ص٢١٣ ، محمد حسن ، الفقراء والزوايا بوسط إفريقية من أواسط القرن ٦هـ حتى نهاية القرن الثامن ، ضمن ندوة المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي ، تونس ، ص٣٢٦

(10) ليون ، وصف أفريقيا ، ص٣٠٥-٣٠٦ .

وميز في الإقطاع بين الزعماء والعامة من حيث طبيعة الأرض وخصوبتها [٢]، حيث يورد ليون [٣] "أن المنصور اصطحب أهم رحالات العرب وأمراءهم إلي ممالك الغرب ؛ فأقطع زعماءهم منطقة دكالة وأزغار [٤] ، ومنح نوميديا لعامتهم " .

ويري أحد المحدثين [٥] أنّ هذا الإقطاع الذي أقطعه الموحدون للعرب في المغرب الأقصى هو إقطاع انتفاع [٦] ، بمعني أنه ينتهي بموت صاحب الإقطاع ، وليس إقطاع تملك ينتقل إلي الورثة ، وهو مقابل الخدمة العسكرية وأداء الزكاة الشرعية لبيت المال ، مثل الإقطاع الذي أقطعه الخليفة الرشيد لبني سفيان من حشم جزاء لموقفهم المساند له ضد غريمه في الحكم يحي بن الناصر ، حيث اقطعهم المنطقة الممتدة من أم الربيع إلي تانسيفت والتي كانت بأيدي قبائل البربر من صنهاجة ودكالة وكراكة [٧] ، ومن المُمكن أن يكون قد بدأ كإقطاع انتفاع ، لكنه انتهي إلي إقطاع تملك ، وليس هناك أي إشارة في المصادر المعاصرة لكونه إقطاع انتفاع " لما أقطع المنصور الأنبج كان للسلطان عليهم عسكرة وجباية " مقابل الإقطاع [٨] ، و يُؤكـد علي ذلك ابن خلدون [٩] بقوله : " وصارت لهم جباية يعتدون فيها ملكًا " ، وذلك في معرض حديثه عن عرب المعقل في المغرب الأقصى ، الذين تملكوا في الشريط الحزامي الفاصل بين سهل سوس وما وراءه ، وبين أقصي الشمال الشرقي للبلاد[١٠]، ومن هذا الإقطاع أعطي عرب المعقل الصدقات لسلاطين بني مرين [١١] ، ممّا يدلل علي التّملك وليس الانتفاع .

---

(1) الناصري ، الاستقصا ،١ص١٦٨-١٦٩ .

(2) ليون ،وصف أفريقيا ، ص٥٦ .

(3) وصف أفريقيا ، ص٥٦ .

(4) يبدأ إقليم دكالة من غرب نهر التانسفت وتنتهي شمالا علي المحيط جوني نهر العبيد غربي نهر أم الربيع وتمثل هذه المنطقة مسافة أربعة أيام طولا ويومين عرضا تقريبا ، راجع ليون ، وصف أفريقيا ، ص١٥٧ .

(5) محمد القبلي ، الدولة والولاية والمجال ،ص٤٨ .

(6) إقطاع الانتفاع هو الأرض التي لا ملك في رقبتها ، فلا يجوز بيعها إلا بإذن الإمام وكلما تعددت الملوك وجـب تحديدها لمن هي في يده مثلما كان في تونس ، راجع ، البرزلي ، فتاوى البرزلي ، تحقيق : محمد الحبيب الهيلـة ، دار الغرب الإسلامي ، ٢٠٠٢م ،٣ص٢٩

(7) ميراندا ، التاريخ السياسي ، ص٤٩٢

(8) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص٦٨ .

(9) العبر ، ٦ ص ٥٣ ، ١٢٠ .

(10) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ص٤١١ ، محمد القبلي ، الدولة والولاية والمجال ، ص٤٦ .

(11) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ٥٣ ، ١٢٠ .

ويري أحد الدارسين [1] أن استخدام الإقطاعات كوسيلة لكسب الأنصار من قبل السلطة الموحدية انعكس سلبا علي الدولة ، فلم تنفع كل الإغراءات الإقطاعية التي بذلها الموحدون للعرب في المغرب الأقصى ، حيث ساعدهم هذه الإقطاعات في تشكيل قوة سياسية صار لها دورًا في الصراع الأسري علي السلطة السياسية ، ووصل الأمر بالعرب في نهاية العصر الموحدي أن يختار شيخ العرب مناطق إقطاعه "علي بغيته ومراده " فيقره عليها الخليفة [2] ، حيث وصل الجبن بالموحدين الأواخر إلي خضوعهم لابتزاز العرب [3] كما ظلت منطقة تادلة مضارب للخلط من جشم في منطقة حاحة الساحلية التي تبعد عن مراكش مسيرة يومين

وإذا كانت القوة والعدد والسطوة سببا في منح الإقطاعات فإن البطون الضعيفة من العرب" ليس لهم ملك ولا إقطاع " [4] " وإذا ضاق كسبهم يثيرون الأرض بالجمال والحمير وبالنساء ويكتسبون عيشهم من فلاحة الأرض " مثل بطون دباب التي ضربت في برنيق شمالي أوجله[5] ، وبعض بطون رياح التي ضربت بالقرب من القيروان ، حيث كانت تحرس البساتين والزروع من الربيع إلي تمام الحصاد ولهم أجرا معلوما [6] .

---

(1) محمد عبد العمر ، الإقطاع وأثره السياسي ، ص٢٦٣ .

(2) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ص٤٠١ .

(3) ميراندا ، التاريخ السياسي ، ص٥٥٩

(4) العبر ، ٦ ص١١٦ .

(5) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص١٧٢ .

(6) البرزلي ، فتاوى البرزلي ، ٣ ص٥٥٦

وخلاصة القول ؛ كان العرب في إفريقية والمغرب الأوسط دائمي التَّمرد ولا يُرحبون بسلطان عليهم فعلي مدار حكم الأربعة خلفاء الأول كانوا دائمي الانضمام لمعارضي السلطة الموحدية ، فقد ساندوا بني غانية للصمود أمام جيوش عبد المؤمن ، واستغلوا منازلة عبد المؤمن للنورمان وعاثوا فسادًا ، ووقفوا مع المنشقين من حكام الموحدين في إفريقية ، وكل هذه محاولات للاحتفاظ بامتيازاتهم علي الأرض ، ولمَّا لم يجدوا بُدًّا من الإذعان لدعوة الموحدين قرَّروا الرَّحيل لحفظ ماء وجههم ومعظم الروايات التي ترصد هجرتهم تدلل علي هجرتهم قسرًا ، حيث تحمل النصوص كلمات مثل ، استاق ، ورحل، ونفي ، وأشخص ، وغرب ، وهي مفردات تدلل علي رحيلهم قسرًا ، ولا ينفي ذلك خطابات الخلفاء وما فيها من عبارات تؤكد هجرة العرب برغبتهم، واقتناع العرب بالتوحيد ورغبتهم في الجهاد ؛ فقد كانت كلها أماني وليست تقرير واقع .

تمنَّع العرب عن الهجرة في عهدي عبد المؤمن ، ويوسف ، ولم تفلح كل المحفزات التي قدماها لهم ، إلا من قليل هربوا من ضغط البطون الكبيرة عليهم في إفريقية ، ، ويبدو أن البطون التي هاجرت كانت من البطون المستضعفة أو حاقت بها الهزيمة ، أمَّا في عصر المنصور فجاءوا مُرغمين ، وزادت أعدادهم واستوطنوا المغرب الأقصى ، القليل منهم اقتنع بفكرة الجهاد ضد نصارى الأندلس ، وحسب الباقون أنه ربما تتفتح أمامهم أبوابٌ من الرزق والمغانم ، فأينما ولوا كانت المغانم هدفهم ، وأما من هاجر من البطون القوية لم يستقر هناك ، والذي بقي منهم أثار الشغب وظلُّـوا علي الدَّوام متمردين ، وكان هدف الموحدين من التهجير تفريغ إفريقية من العرب التي طالما عاثوا فيها خرابًا ودمارًا ، والتخفيف من ضغط هذه القبائل علي المنطقة ، واستخدامهم في محاربة نصارى الأندلس .

تغير العرب في فترة ضعف الموحدين وأصبحوا أصحاب خبرة سياسية ، حيث تمرسوا في الجهاد في الأندلس وراقبوا الأحداث عن قرب ، ووضعوا أنفهم في كل ما يدور من أمور، ولم يطل بهم العمل كجند نظاميين في دولة الموحدين ، فبعد معركة العقاب أصبحوا جماعات أو شراذم تعمل لحسابها الخاص ، وتُقـدِّم خدماتها نظير غنائم أو إقطاعات ، وهذا سبب تقلب ولاءتهم إذ كانوا دائمًا يراهنون علي القوي التي ظنوا أن الفوز حليفها ، لذلك نجدهم يملكون إقطاعات كبيرة منها ما هو هبة من الحكام ، ومنها ما هو بالغلب ، ولم تبالي البطون العربية من تغيير مواقفها ؛ بحثًا عن مصالحها وعن وضع يُوافق طموحاتها ، ومن بداية الدولة وحتى نهايتها كانوا يضعون مصالحهم في المقام الأول ، وليس من العجب أن نجدهم وقودا للمعارك بين المتناحرين علي الحكم في أواخر دولة الموحدين ، وكثيرًا ما أُنتهكت قواعد الفروسية وأخلاقها بالخيانة وتقطيع الرؤوس والتمثيل بها ، وفي النهاية يمكن القول أنهم شاركوا في سقوط الدولة لكنهم لم يكونوا سببا رئيسيا في سقوطها .

المصادر والمراجع

ابن الأثير ،محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني(ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣م) ،

الكامل في التاريخ ، تحقيق أبي الفدا عبد الله القاضي ، دار الكتاب العلمية، بيروت ١٩٩٥م

البرزلي ، أبي القاسم بن أحمد البلوي التونسي (ت ٨٤١هـ/١٤٣٨م) ، فتاوى البرزلي ، جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام ، تحقيق : محمد الحبيب الهيلة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ٢٠٠٢م

البيدق ، أبو بكر الصنهاجي (ت٥٥٥هـ/ ، المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب ، تحقيق : عبد الوهاب بن منصور ، دار المنصور ، الرباط ١٩٧١م

ـــــ ، أخبار المهدي بن تومرت ، تحقيق : عبد الحميد حاجات ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ١٩٨٦

التادلي ، أبي يعقوب يوسف بن يحي (٦١٧هـ/١٢٢٠م) ، التشوف إلي رجال التصوف ، تحقيق: أحمد التوفيق ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ، ط٢ ،١٩٩٧م

التجاني ، عبد الله بن محمد بن أحمد ، رحلة التجاني ، الدار العربية للكتاب ، تونس ١٩٨١م

ابن أبي زرع الفاسي ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار المنصور ، الرباط١٩٧٢م

ابن خلدون ، عبد الرحمن بن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت

خليفة بن خياط الليثي (ت ٢٤٠هـ) ، تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق : أكرم ضياء العمري ، دار القلم ، دمشق ١٣٩٧هـ

الدباغ ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري (ت ٦٩٦هـ) ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، تحقيق : محمد ماضور ، المكتبة العتيقة ، تونس ١٩٧٨م

السلاوي لناصري ، الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى ، تحقيق : جعفر الناصري ، ومحمد الناصري، دار الكتاب ، الدار البيضاء ١٩٩٧م

ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة ، تحقيق : عبد الهادي التازي ، دار الغرب الإسلامي ، ط٣، ١٩٨٧م

ابن عذارى المراكشي ، البيان المغرب ، قسم الموحدين ، تحقيق : محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، دار الثقافة ، الدار البيضاء ١٩٨٥م .

ليون الإفريقي ، وصف أفريقيا ، ترجمة ، عبد الرحمن حميدة ، مراجعة علي عبد الواحد ، الرياض١٣٩٩هـ

المراكشي عبد الواحد (ت٦٤٧هـ) ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق : محمد سعيد العريان ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ١٩٦٣م

النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق: مفيد قمحية وآخرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ٢٠٠٤م.

ياقوت الحموي ، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ/) معجم البلدان ، دار الفكر ، بيروت .

المراجع العربية والمترجمة

إبراهيم جدلة ، المجموعات القبلية وتأثيرها علي الحياة الاجتماعية والسياسية بإفريقية أثناء العصر الحفصي ، أشغال الملتقي الدولي الثاني حول القبيلة الدولة المجال تونس ٢٠٠٣م

الحبيب الجنحاني ، المجتمع العربي الإسلامي ، عالم المعرفة ، الكويت ٢٠٠٥م

أحمد عزاوي ، رسائل موحدية ، منشورات كلية الآداب بالقنيطرة ،٢٠٠١م

برنشفيك ،روبار ، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي ، ترجمة : حماد الساحلي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت

بروفنسال ، مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية ، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية ، الرباط ١٩٤١م

ر وجي لي تورنو ، حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، ترجمة: أمين الطيبي ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا — تونس ١٩٨٢م .

عبد الله علي علام ، الدولة الموحدية بالمغرب ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٨م

عبد الواحد ذنون طه ، دراسات في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي ، دار المدار الإسلامي،طرابلس ليبيا ٢٠٠٩م

عز الدين أحمد موسي، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الشروق ١٩٨٣م .

محمد زنبير ، المغرب في العصر الوسيط ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة محمد الخامس ، الرباط ١٩٩٩م .

محمد حسن ، المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي ، جامعة تونس ١٩٩٩م

محمد عبد العمر، الإقطاع وأثره السياسي والاجتماعي في المغرب خلال عصر المرابطين والموحدين ،رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب جامعة عين شمس ، ٢٠٠٧م

محمد القبلي، الدولة والولاية والمجال ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ،١٩٨٧م

محمد المغراوي، الهجرة العربية الكبرى إلي المغرب الأقصى في عهد يعقوب المنصور الموحدي، ضمن ندوة التحركات البشرية والهجرات اليمانية إلي بلاد الشام وشرق وشمال أفريقيا قبل ظهور الإسلام وبعد ظهوره ، منشورات المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، بنغازي ليبيا ٢٠٠٥.

محمود إسماعيل ، سوسيو لوجيا الفكر الإسلامي ، سينا للنشر ، القاهرة ١٩٩٢م

مصطفي أبو ضيف أحمد ، أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبني مرين ، الدار البيضاء ١٩٨٣م

ممدوح حسين ، الحروب الصليبية في شمال أفريقيا ، دار عمار ، عمان الأردن ١٩٩٨م

ميراندا (أمبروسيو هويثي) ، التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية ، ترجمة : عبد الواحد أكمير ، منشورات الزمن ، الدار البيضاء ٢٠٠٤م .

الهادي روجي إدريس ، الدولة الصنهاجية ، ترجمة : حماد الساحلي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت١٩٩٢

Bovill, E.W, north Africa in the middle ages, in journal of the royal African society,Vol.30,No.119 (Apr.,1931)

Cowdrey E., J., The Mahdia campaign of 1087, English Historical Review., no. CCCLXII, 1977